T
159A

ملاحظـة لمن يرغب تصفـح هذه الرسالة

لعرض النصوص الواحد ازاء الثاني واحيانا الثالث ، وجب لصق الصفحات بعضها جانب بعض بواسطة الورق الشفاف . ففي بعـض الامكنة لا يزال الصمـغ يلتصق ، مع الاسف ، بالصفحة السـابقـة او اللاحقـة . غير ان فتقا رقيقا يفصل الصفحات بسـهولة دون ايّ ضرر . — المرجو المعذرة والانتبـاه .

A.U.B. LIBRARY

CLOSED AREA

NOT TO CIRCULATE

November 10, 1971

NOTICE TO GRADUATE STUDENTS

The Board of Graduate Studies in its meeting on November 1, 1969, decided that all graduate students must include the following "Thesis Release Form" which should appear on a separate page of each Thesis:

"THESIS RELEASE FORM"
American University of Beirut

I, Rev.Ramzi Habib Malik :

[✓] authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

[ ] do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals.

Ramzi H. Malik
Signature

16/5/1973
Date

Emile Rubeiz
Associate Registrar

T
159A

ملاحظـة لمن يرغب تصفـح هذه الرسالة

لعرض النصوص الواحد ازاء الثاني واحيانا الثالث ، وجب لصق الصفحات بعضها جانب بعض بواسطة الورق الشفاف . ففي بعـض الامكنة لا يزال الصمـغ يلتصق ، مع الاسف ، بالصفحة السـابقـة او اللاحقـة . غير ان فتقا رقيقا يفصل الصفحات بسـهولة دون ايّ ضرر . — المرجو المعذرة والانتبـــاه .

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

The story of Creation in the Isra'illiyat after the Commentary of at-Tabari and its parallels in the Torah and the Talmud

By

Rev. Ramzi Habib Malik
(Name of Student)

Approved:

Prof. Ihsan Abbas ______ Ihsan Abbas
Advisor

Prof. Khalil Hawi ______ K. Hawi
Member of Committee

Prof. Nadeem Naimy ______ N. Naimy
Member of Committee

Prof. Mahmud Ghul ______ M.A. Ghul
Member of Committee

Date of Thesis Presentation: **21/5/1973**

قصـة الخلق في الاسـرائليات

حسب ورودها في تفسير الطبري

مع ما يقابلها في التوراة والتلمود

(The Story of Creation in the Isra'īlliyyāt

after the Commentary of At-tabarī

and its Parallels in the Torah and the Talmud)

اطروحة مقدمة للماجستير في الآداب
الدائرة العربية في الجامعة الاميركية
١٩٧٣
بيروت ـــ لبنان

قصة الخلق في الاسرائيليات

حسب ورودها في تفسير الطبري

مع ما يقابلها في التوراة والتلمود

الأصول والمصادر .... ٢ - ط

مقدمة .... ١ - ١٢

أ - في تعريف "الاسرائيليات" .... ١ - ٩

ب - في أصول هذه الرسالة .... ٩ - ١٢

الخلق .... ١٢ - ١٦٢

أ - فكرةً .... ١٢ - ٣٠

ب - فعلًا .... ٢١ - ٢٦

١- الخلق من لا شيء .... ٢١ - ٢٧

٢- الخلق بالكلمة .... ٢٧ - ٢٥

جـ - حدثًا .... ٢٧ - ١٦٢

١- خلق السموات والأرض .... ٢٧ - ٧٦

٢- في الملائكة .... ٧٧ - ٩٢

٣- خلق الانسان .... ٩٢ - ١٦٢

آ) خلق الانسان بعامة .... ٩٢ - ١١٥

ب) قصة آدم وحواء بين التوراة وكتب التفسير .... ١١٦ - ١٥٤

١) خلق الانسان وقصة الهبوط بين التوراة والقرآن .... ١١٧ - ١٢٦

٢) هبوط آدم وحواء بين التوراة وكتب التفسير .... ١٢٧ - ١٥٠

٣) ازائية تأليفية بين نص التوراة ونصوص كتب التفسير .... ١٥١ - ١٥٤

جـ) قصة آدم وحواء بين التلمود وكتب التفسير .... ١٥٥ - ١٦١

د) قصة هابيل وقابيل .... ١٦١ - ١٦٢

خاتمة : استنتاجات ١٦٤

الأصـول والمصـادر

أ- أصـول البحث :

كتب التفسـير :

١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامـع البيان في تغسير القرآن . المطبعة الأميرية ، مصر ، ١٣٢٩ (/١٩١١) . ٣٠ جزءا . أشير اليه في الهامش : " الجامع " ، معطيا رقمين ، الأول رقم الجزء ، والثانـي رقـم الصـفحة ، هكذا : " الجامع " ١، ٩١ .

٢) جاد الله محمود بن عمر الزمخشري ، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيـــون الأقاويل في وجوه التأويل . دار الكتـاب العربي ، بيروت ، ١٣٦٦/١٩٤٧ . أربعة اجزاء . (وهو بمثابة تصوير متن الكتـاب الذي " رتّبه وضبطه وصحّحه مصطفى حسـين أحمد . الطبعة الأولى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥-١٩٤٦ ") . أشـير اليـه بـ " الكشاف " ، معطيا رقمين ، الأول رقم الجزء ، والثاني رقم الصفحة ، هكـذا : " الكشاف " ١، ٤٣ .

٣) أبو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي ، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس . مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٧٤/١٩٤٥ . الطبعة الرابعة . وأشير اليه بـ " قصص الأنبياء " ، معطيا رقم الصفحة .

القرآن الكريم . طبعة الحكومة المصرية ، ١٣٤٢ (/١٩٢٣) . وأشير اليه معطيا ١- الاستشهادات القرآنية بين هلالين ونجمتين ؛ ٢- معطيا رقم السورة بين هلالين ثم اسمها فرقم الآية ، هكذا : (١) الفاتحة ١ = * باسم الله الرحمن الرحيم *

الكتاب المقدس ،

أ- الترجمة الكاثوليكية :

١- الكتاب المقدس . مطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩٧ .

٢- العهد الجديد . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٩ .

ب- الترجمة البروتستنتية :

الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد وقد ترجم من اللغات الأصلية وهي اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية . جمعية التوراة الأمريكية ، جمعية التوراة البريطانية والاجنبية . القاهرة ، ١٩٣٧ .

جـ - La Sainte Bible Polyglotte contenant le texte hébreu original, le texte grec des Septante, le texte latin de la Vulgate et la traduction française de M. l'abbé Glaire avec les différences de l'hébreu, des Septante et de la Vulgate; des introductions, des notes, des cartes et des illustrations - par F. VIGOUROUX. 8 volumes. Paris, A. Roger et F. Chernoviz, 1901.

وأشـير الى الكتاب المقدس واضعا سطرا تحت استشهاداته ، معطيا اسم السفر ثم رقم الفصل فرقم الآية ، هكذا : في البدء خلق الله السموات والأرض = (سفر التكوين ١،١) .

التلمـود

أ- التلمود الأورشليمي Le Talmud de Jérusalem traduit pour la première fois par Moïse SCHWAB. Paris, Maisonneuve, 1932. En 6 volumes.

أشير اليه : TJ ، معطيا عنوان الرسالة مع رقم المجلد فرقم الصفحة .

ب- التلمود البابلي The Babylonian Talmud R.J. EPSTEIN, Editor. (Translated into English by HERZ etc.). London, The Soncino Press, 1935-1960. In 36 (?) volumes.

أشـير اليه : TB ، معطيا مختصر عنوان الرسالة مع رقـم المجلد فرقم الصفحة . وها هي عناوين الرســــالات مـــع اختصـاراتها :

TRACTATES OF THE TALMUD

Abbreviation	Tractate	Abbreviation	Tractate
Ab.	Aboth.	Mid.	Middoth.
'Ar.	'Arakin.	Miḳ.	Miḳwa'oth.
'A.Z.	'Abodah Zarah.	M.Ḳ.	Mo'ed Ḳatan.
B.B.	Baba Bathra.	M.Sh.	Ma'aser Sheni.
Bek.	Bekoroth.	Naz.	Nazir.
Ber.	Berakoth.	Ned., Neda.	Nedarim.
Beẓ.	Beẓah.	Neg.	Nega'im.
Bik.	Bikkurim.	Nid.	Niddah.
B.Ḳ.	Baba Ḳamma.	Oh., Ohol.	Oholoth.
B.M.	Baba Meẓi'a.	'Or., 'Orl., 'Orlah.	'Orlah.
Dem.	Demai.	Par.	Parah.
'Ed., 'Eduy.	'Eduyyoth.	Pes.	Pesaḥim.
'Er., 'Erub.	'Erubin.	R.H.	Rosh Hashanah.
Giṭ.	Giṭṭin.	Sanh.	Sanhedrin.
Ḥag.	Ḥagigah.	Shab.	Shabbath.
Ḥal. or Ḥa.	Ḥallah.	Sheb.	Shebi'ith.
Hor.	Horayoth.	Shebu.	Shebu'oth.
Ḥul.	Ḥullin.	Sheḳ.	Sheḳalim.
Kel.	Kelim.	Soṭ.	Soṭah.
Ker.	Kerithoth.	Suk.	Sukkah.
Ket., Keth.	Kethuboth.	Ta' or Ta'an.	Ta'anith.
Ḳid.	Ḳiddushin.	Tam.	Tamid.
Kil.	Kil'ayim.	Tem.	Temurah.
Ḳin.	Ḳinnin.	Ter.	Terumoth.
Ma'as.	Ma'asroth.	Ṭoh.	Ṭohoroth.
Ma'as Sh. or MS.	Ma'aser Sheni.	Ṭoho.	v. Ṭoh.
Mak.	Makkoth.	Ṭ.Y.	Ṭebul Yom.
Maks. or Maksh.	Makshirin.	'Uḳ., 'Uḳz.	'Uḳzin.
Meg.	Megillah.	Yeb.	Yebamoth.
Me'il.	Me'ilah.	Yom.	Yoma.
Men.	Menaḥoth.	Zab.	Zabim.
		Zeb.	Zebaḥim.

ب ـ المصـادر العامـة

Kitab Al-Fihrist mit Anmerkungen herausgegeben
von Gustav FLÜGEL ...

الفهرست لابن النديم • مكتبة خياط ، بيروت ، لبنان •

ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب • دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٥ م ١٣٧٤ هـ • ١٥ جزءا • أشير اليه : " لسان العرب " ثم رقـم الجزء فرقم الصفحـة •

مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، كشف الظنون عـن أسامي الكتب والفنون • الطبعة الثالثة • المطبعة الاسلامية ، طهران ، ١٣٨٧ هجري ، ١٩٤٧ ميلادي • ٤ أجـزاء •

ابن سعد ، الطبقات الكبرى • دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م • ٨ مجلدات •

شهاب الدين ياقوت عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، معجم الأدباء المعروف بارشاد الأديب الى معرفة الأديب • وقد اعتنى بنسـخه وتصحيحه د • س• مرجليوث • الطبعة الأولى • مطبعة هنديـة ، مصر ، ١٩٢٥ • ٧ أجزاء •

ج – المراجع العامّة

GAL = Carl BROCKELMANN, Geschichte der Arabischen Litteratur. Leiden, Brill, 1943. 5 Bände.

EI[1] = Encyclopédie de l'Islam. (Première édition). Leyde, Brill, 1913.

EI[2] = Encyclopédie de l'Islam. Nouvelle édition. Leyde, Brill, 1960.

The Jewish Encyclopedia. A Descriptive Record of the History, Religion, Literature, and Customs of the Jewish People from the Earliest Times to the Present Day. New York, Funk and Wagnalls Company, 1901. 12 volumes.

Vocabulaire de Théologie Biblique.[2] Paris, Le Cerf, 1970.

دائرة المعارف – قاموس عام لكل فن ومطلب . بادارة فؤاد افرام البستاني . بيروت ١٩٥٦ .

خير الدين الزركلي ، الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين – الطبعة الثانية . مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ، الظاهر ، ١٣٧٣–١٣٧٨ / ١٩٥٤–١٩٥٩ . ١٠ اجزاء .

A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament
with an Appendix containing the Biblical
Aramaic - based on the Lexicon of William
GESENIUS (...) by Francis BROWN. Oxford,
At the Clarenden Press, 1929.

أ٠ي٠ ونسنك ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة
وعند مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند احمد بن حنبل ٠٠٠ مكتبة
بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦ ٠ ٦ اجزاء ٠

A.J. WENSINCK, A Handbook of Early Muhammadan
Tradition - Alphabetically Arranged. Leiden,
Brill, 1960.

PAULYS Realencyclopädie der Classischen Alter-
tumswissenschaft.
Neue Bearbeitung begonnen von Georg Wissowa
fortgeführt von Wilhelm Kroll und Karl
Mittelhaus unter Mitwirkung zahlreichen
Fachgenossen.
Herausgegeben von Konrat Ziegler.
Alfred Druckenmüller Verlag, Stuttgart, 1959.

ح

د ـ المراجع الخاصـــــة

Heinrich SPEYER, Die Biblischen Erzählungen im Qoran[2]. Georg Olms Verlag, Hildesheim, 1971.

Adolphe NEUBAUER, La géographie du Talmud. Paris, Michel Lévy Frères, 1868.

اجنتس جولدتسهر ، مذاهب التفسير الاسلامي ، تعريب عبد الحليم النجار .
مكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٧٤/١٩٥٥ .

Ignaz GOLDZIHER, Die Richtungen der islamischen Koranauslegung an der Universität Upsala gehaltene Olaus-Petri-Vorlesungen. Leiden, Brill, 1952.

G. van VLOTEN, Recherches sur la Domination arabe, le Chiitisme et les Croyances messianiques sous le Khalifat des Omayades. Amsterdam, Joannes Müller, 1894.

فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ٠
ترجمه عن الفرنسية ونقده وعلق عليه الدكتور حسن ابراهيم حسن
ومحمد زكي ابراهيم ٠ الطبعة الاولى ١٩٣٤ ٠ مطبعة السعادة ،
مصـــر ٠

هـ ـ مؤلفـــان :

رمزى نعناعــة ، الاســرائيليات وأثرها في كتب التفسير ٠ نشر وتوزيع
دار القلم بدمشق ودار الضياء ببيروت ، ١٣٩٠/١٩٧٠ ٠

محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ٠ بحث تفصيلي عن نشأة
التفسير وتطوره ، وألوانه ومذاهبه ، مع عرض شامل لأشـــهر
المفســرين ، وتحليل كامل لأهم كتب التفسير ، من عصـــر
النبي صلى الله عليه وسلم الى عصرنا الحاضر ٠ دار الكتـب
الحديثة ، مصر ، ١٣٨١/١٩٦١ ٠ ٣ اجزاء ٠

Alousy, The Problem of Creation in Islamic Thought

مقدمـــــة

أ - في تعريف " الاســرائيليات "

ظهـرت لفظة " الاسرائيليات " في فترة مبكـرة ، اذ يذكـر ياقوت(١) في " معجم الأدباء " ان وهب بن منبه(٢) " كان من خيـــار

---

(١) ياقوت هو شهاب الدين ابو عبدالله يعقوب بن عبدالله الحموي الرومـــي البغدادي . ولد في بلاد الشام حوالي ٥٧٥/ ١١٧٩ وتوفي في حلـــب سنة ٦٢٦/ ١٢٢٩ . وهو صاحب " معجم البلدان " .

(٢) وهب بن منبه : " من الأبناء ، يكنى أبا عبدالله " (ابن ســعد ، " الطبقات ... " ٥ ، ٥٤٣) . من اصل فارسي . ولد في ذمـــار بالقرب من صنعاء سنة ٣٤/ ٦٥٤ وتوفي في صنعاء سنة ١١٤/ ٧٣٢ . ويعده ابن النديم بين " من اسلم من اهل الكتاب فهم عبدالله بن سلام ويامين بن يامين ووهب بن منبه وكعب الأحبار وابن النهيـان وبحـــيرْ الراهب " (" الفهرست " ٢٢) . غير ان اسلامه ليس مثبتاً ، حسب هوروفتز الذي يرجح انه ولد مسلما (راجع مقاله في " وهب بن منبه " EI[1] ، IV ، 1143) . ويروي فيه ابن سعد انه قال : " لقد قرأت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي ايدي الناس ، وعشرون لا يعلمها الا قليل ... " وايضا : " لقد قرأت ثلاثين كتابا نزل على ثلاثين نبيا " . ("الطبقات ..." المرجع نفســه) . غير ان هوروفتز يشكك في هذه الإدعاءات (المرجـع ذاته في EI[1]) .

التابعين ثقة صدوقا كثيرَ النقل من الكتب القديمة المعروفة بالاسرائيليات " [٣] .

وان كانت اللفظة بحد ذاتها قديمة ، فلا بد ان يكون مبدأ تأريخها أقدم . ونعثر في كتاب الثعلبي على محاورة طريفة بين ابن عباس [٤]

---

(٣) " معجم الأدباء " الجزء السابع ، الطبعة الأولى ، ص ٢٣٢ . — أما " كتاب الاسرائيليات " الذي ينسبه حاجي خليفة " لوهب بن منبه (اليماني المتوفي سنة ١١٤) " (" كشف الظنون ... " ١٣٩٠) ، فلا نجد له ذكرا ، حسب هوروفتز ، في النصوص القديمة (راجع EI[1] ، مقاله في " وهب بن منبه ") .

(٤) ابن عباس هو ابو العباس عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ، جد الرسول محمد بن عبدالله . ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين (٦١٩ ميلادية) . مرجع في التفسير والحديث والحلال والحرام واللغة العربية والشعر ... وقد توفي سنة ٦٨/٦٨٦ وقيل ٤٩/٦٦٩ بالطائف (راجع المقال فيه بـ " دائرة المعارف " ٣ ، ٣٣٢ ؛ GAL , I , 190 و S I , 331 ؛ EI[2] , I, 41 - 42 ؛ جولدتسهر ، " مذاهب التفسير الاسلامي " ٨٣ – ١٠٦ . " الفهرست " ٣٣ : في " تسمية الكتب المصنفة في تقسيم القرآن " — " كتاب ابن عباس رواه مجاهد ورواه عن مجاهد حميد بن قيس وورقا عن ابي نجيح عن مجاهد وعيسى بن ميمون عن ابي نجيح عن مجاهد " .

وكعب الأحبار (٥) يحق ان تُعتبر بمعنىً أصلَ الاسرائيليات . وأرى من المناسِب ان انقل هذه الرِواية ، لا بغية ضبطِ أصل اللفظة ضبطا أدبيا فحسب ، بل لكي أستخلص تعريفا صالحا لها .

" أنبأنا مقاتل (٦)

---

(٥) كعب الأحبار هو ابو اسحاق كعب بن ماتع بن هيسوع . " ويكنى أبا اسحٰق وهو من حِمْيَر من آل ذي رُعَيْن ، وكان على دين اليهود فأسلم وقدِم المدينة ثم خرج الى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة ٣٢ في خلافة عثمان بن عفان . " (ابن سعد ، " الطبقات ... " ٧ ، ٤٤٥) . وكما نقلنا (راجع هامش (٢) اعلاه) ، يذكره ابن النديم في " الفهرست " بين " من اسلم من اهل الكتاب " . والظاهر انه لم يكتب شيئا ، غير انه روى كثيرا ؛ ولكن الروايات التي تنقل عن لسانه غير موثوق بها عند كبار المؤرخين العرب امثال ابن قتيبة والطبري والنووي (٦٣١-٦٧٦ / ١٢٣٣-١٢٧٧) . اما جامعو القصص فيما بعد ، امثال الثعلبي والكِسائي ، فنقلوا عنه الكثير . (راجع شمتز EI[1], II, 621-620) .

(٦) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزْدي بالوَلاء ، البلْخي ، ابو الحسن . أصله من بلْخ في بلاد الافغان . انتقل الى البصرة ودخل بغداد فحدث بها . اشتهر بتفسيره . حاول التوفيق بين نص القرآن وروايات اهل الكتاب من نصارى ويهود . توفي في البصرة سنة ١٥٠/٧٦٧ . (" الاعلام " ٨ ، ٢٠٦ ؛ GAL, SI, 332 ؛ " الفهرست " ١٧٩ ؛ جولدتسهر ، " مذاهب التفسير الاسلامي " ٧٥-٧٦) .

عن عِكْـرِمة [٧] عن ابن عباس ، رضـي اللـــه عنهما قال : بينما هو جالس ذات يوم من الأيام اذ أتاه رجل فقال : يا ابن عباس اني سمعت العجب من كعب الأحبار يذكر في الشـــمس والقمر ، وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال : وماذا قال ؟ قال زعم كعب الاحبار : إنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقـــيران فيُقذفان في النار ، قال عكرمة : فطـارت من ابن عباس شَظِيَةٌ ووقعت اخرى غضبا ، ثم قال : كذَب كعب الاحبار قالها ثلاثا ، بل هذه هي يهودية يريد ادخالَها في الاسلام ، واللـــه تعالى اكرم واجل من ان يعذب اهل طاعته ،

---

(٧) عِكْرِمـة هو ابن عبدالله البربري المدني ، ابوعبدالله ، مولى عبدالله بن عباس . تابعي . اشتهر بالتفسـير والمغازي . طاف البلدان وخـرج الى المغرب ، فأخذ عنه اهلها رأي " الصفرية " . ولد في المدينـة سنة ٢٥/ ٦٤٥ وتوفي فيها سنة ١٠٥/ ٧٢٣ (راجع «الأعلام» ٥، ٤٢).

ألم تر الى قوله تعالى * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ *[٨] يعني دأبهما في طاعته ، فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما انهما دائبان في طاعته ؟ قاتل الله هذا الحَبْرَ ، وقبح حديثه ، ما أجرأه على الله واعظمَ فِرْيَتَه على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ، ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الأرض ، فجعل يَنْكُتُ به في الأرض وظل كذلك ما شاء الله ... " (٩)

فقول ابن عباس : " هذه يهودية يريد ادخالها في الاسلام " ، يردنا الى اصل " الاسرائيليات " واقعا تاريخيا وتعبيرا أدبيا ، وان لم يكن لفظا وحرفا .

---

(٨)(١٤) ابراهيم ٣٣ .

(٩) " قصص الأنبياء " ١٨ .

وينقل الثعلبي كذلك ، على لسان ابن عباس أيضا ، رواية طويلة جدا بل روايات في خلق الشمس والقمر حتى يبلغ آخر قصته فيقول :

" قال عكرمة : فقمت مع النفر الذين حدثوا
عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر
حتى أتيناه ، فأخبرناه بغضب ابن عباس وما وجده
من حديثه ، وبما حدثنا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهما مما بين مبدئهما الى معادهما ،
فقال كعب الاحبار : اني حدثت عن كتاب دارس
منسوخ قد تداولته الأيدي ، وابن عباس حدث عن
كتاب حديث العهد بالرحمن جلّ جلالهُ ناسخ
للكتب ، وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ،
ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال : بلغني ما
كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من
كتاب الله تعالى ومن سُنّة رسول الله صلى الله
عليه وسلّم ، ألا وإني استغفر الله من ذلك مع أني لم
أتقوّله من تلقاء نفسي ، ولكن حدثت عن كتاب

دارس ، فلا أرى ما كان فيه من تبديل الكفار
واليهود ، وانت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث
العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين ،
وأنا أحب ان تحدثني بما حدثت به أصحابك
من حديث الشمس والقمر ، فاحفظ عنك الحديث .
فإذا حدثت بشيء من أمر الشمس والقمر فيما
بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذي تحدثني
به مكان حديثي الاول . قال عكرمة : فوالله
لقد اعاد عليه ابن عباس الحديث ، واني
لأَسْتَقْرِئه في قلبي بابا بابا ، فما زاد شيئا
ولا نَقَصَ شيئا ولا قدَّمَ ولا أخَّرَ ، فزادني ذلك
في ابن عباس رَغبة وللحديث حِفْظا ، والله
أعلم . » (١٠)

---

(١٠) المرجع نفسه ٢٤ .

ما زلنا هنا كذلك في أصل " الاسرائيليات " واقعا تاريخيا وحدثا أدبيا . فـ " الكتاب الحديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب " انما هو بلا ريب القرآن الكريم ، وكعب يسترسل فيذكر محمدا لقبا ان لم يذكره اسما عندما يتكلم على " سيد الانبياء والمرسلين خير البشر" . أما الكلام في " كتاب دارس منسوخ وقد تداولته الأيدي " و " كتاب دارس ، فلا أرى ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود " ، أجل هذا " الحديث الأول " الذي كان كعب يحدث فيه – هذا " الكتاب " بل وهذه الكتب التي يذكرها ابن سعد على لسان وهب بن منبه كما سبق فرأينا [(١١)] ، ما هي يا ترى ؟ أهي اسفار التوراة ؟ أهي اجزاء التلمود ؟ ام أنها مصدر كتابي ثالث لا نعرفه (بعد) ، قد يكون أصل الاسرائيليات كما نجدها في التراث الاسلامي وبخاصة العربي منه ؟ ام علينا بدورنا ان نشكك بروايات الثعلبي هذه فنهملها كما اهملها السابقون ؟

ومهما يكن من الأمر فيتراءى لي اننا قد وصلنا الى تعريف

---

(١١) راجع أعلاه : هامش (٢) في وهب بن منبه .

صالح لمفهوم " الاسرائيليات " ، نحددها فنقول : من الناحية الاسلامية البحتة وفي إثر التراث العربي بخاصة قديمه ، الاسـرائيليات هي مجموعـة النصـــوص التي وردت في كتب التفسـير لتشـرح ما أتى به القرآن الكريم من قصص لهـــا ذكر في الكتاب المقدس بعهديه العتيق والجديد [١٢] - (أو ما نقـــل عن أهل الكتاب بعامة سواء عرف اصله او لم يعرف) ٠

ب - في أصـول هذه الرسـالة

وأحصـر بحثي في " الاسـرائيليات " حول قصـة الخلق عنـد المفسـرين ٠ اما المفسـرون الذين أرجع اليهم فهم ثلاثة عاشـــوا بـــين

---

(١٢) نجد في تعريب كتاب جولدتسهر : " مذاهب التفسـير الاسـلامي " ، ص ١٠١ ، لفظتين : " الاسرائيليات " (للعهد العتيق) ، " والنَصرانيات " (للعهد الجديد) ٠ ولعل التميـيز هذا ادق علميا ٠ غير ان لفظة " النَصرانيات " من تصرف المعرب وصَوغه ، ولا وجود لهـا ، على علمي ، في التراث الاسلامي العربي ٠ اما الأصل الألماني فيقول : Biblica und Judaica (راجع : Richtungen... , S. 80) وفي مكان آخر يستعمل جولدتسهر اللفظة اللاتينية أيضًا: Israeliticis (المرجع نفسه ، ص 68) ٠

القـرن الثالث والقرن السادس للهجرة ، اي في أزهر [١٣] فترة من تأريـخ الآداب العربية ، هم الطبري والثعلبي والزمخشـري ٠

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٥١-٣١٠/ ٨٦٥-٩٢٢)

" من اعظم رجال العلم الاسـلامي في جميع العصـور " ؛ وهو " ابو التاريـخ الاسـلامي " [١٤] بتأليفه " تاريخ الرسل والملوك " الذي يعده البعض أهـم مصدر واغزره مادةً في دراسات العصور الأولى من التاريخ العربي ؛ وكتابـه " جامع البيان في تفسير القرآن " من اهم كتب التفسير ان لم يكن اهمهـا ٠ ولقد ركزت بحثي عليه ٠

أحمد بن محمد بن ابراهيم ابو اسحق النيسابوري الشـافعي المعروف بالثعلبي ، المتوفي سنة ٤٢٧/ ١٠٢٥ ، هو صاحب " الكشـف والبيان عن تفسير القرآن " ، غير انه لم يطبع بعد ، على علمي ٠ رجعـت

---

(١٣) لعل افعل التفضيل هذا لا يأتي مبالغا فيه عندما ذكرنا ان اثناء هذه القرون الثلاثة لمع كل من ابي تمام (١٨٠-٢٢٨) والبحـتري (٢٠٦-٢٨٤) وابن الرومي (٢٢١-٢٨٣) وابن المعتز (٢٤٩-٢٩٦) والجاحظ (١٥٩-٢٥٥) والمتنبي (٣٠٣-٣٥٤) وابي فراس (٣٢٠-٣٥٧) والشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦) وابي العلاء المعـري (٣٦٣-٤٤٩) ٠

(١٤) راجع جولدتسهر ، " مذاهب التفسير الاسلامي " ، ص ١٠٧ وما بعدها ٠
GOLDZIHER, Richtungen..., S. 85-86.

الى كتابه " عرائس المجالس في قصص الأنبياء " ولعله ضم فيها ضم زبدة مادة تفسيره لقصة الخلق .

محمود بنُ عمر بن محمد بنِ أحمد الخُوارزْمي الزمخشري ، ابو القاسم ، (٤٦٧-٥٣٨/ ١٠٧٥-١١٤٤) ، صاحب " أساس البلاغة " و " المفصل " و " المقامات " . واضع " تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " ، وهو ثالث أصولنا . وكان الزمخشري من المعتزلة .

وبخصوص الكتاب المقدس فلقد رجعت دائما الى الأصل العبري او اليوناني ، غير انني اكتفيت عادة بنقل الترجمة العربية .

وفيما يتعلّق بالتلمود فلقد لجأت الى الترجمتين الفرنسية للتلمود الأُورشَليمي والانجليزية للتلمود البابلي ، واستشهدت بترجمتيهما .

وبخصوص أحاديث الصحابة والتابعين فلقد تركتها على عِلاتها . أما احاديث النبي فلقد عارضتها على " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ... " لونسنك ، فلم أجد واحدا منها فيه .

بنـاء على التعريف الذي عرفت به " الاسـرائيليات " واسـتنادا الى أصـول مفسـرينا الثلاثة ، بخاصة " جامع البيان " ، أقدم رسـالتي : قصـة الخلق في الاسـرائيليات حسب ورودها في تفسـير الطبري مع ما يقابلها في التوراة والتلمـود .

الخلــــــــــــق

ان الخلق بمعنىً أولى معطيات الوحي . فتعلن أول آيـــة من سـفر التكوين: في البدء خلق الله السماوات والأرض [1] . وتُعتبر ســـورة العلـق « أول ما نزل من القرآن » . وهي تبتدئ بالآيـة : « اقْـرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ » [2] . من هنا نستهل محاولة درس الاسرائيليات واصولها في الكتاب المقدس وفي التلمود ، بالخلق فكرةً وفعلاً وحدثًا .

أ ـ الخلق فكـــرةً

يعبر فعل " خلق " مع مشتقاته ومرادفاته أحسن تعبير عن طبيعة الله وصفاته في القرآن . فالله هو الخالق : « هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ » [3] . وهو الخـــــــلاق

---

(١) سفر التكوين ١،١ .

(٢) (٩٦) العلـق .

(٣) (٥٩) الحشر ٢٤ .

العليم [٤] . وهو الفاطر [٥] . هو الذي صنع فأتقن كل شيء [٦] .
هو بديع السموات والأرض [٧] . وسيعكس " لسان العرب " ايمان الاسلام
فينقل : " لا تجوز هذه الصفة بالألف واللام (= الخالق) لغير الله
عزّ وجلّ . " [٨]

---

(٤) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٥) الحجر ٨٦ .

(٥) ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٦) الأنعام ١٤ ؛ (١٢) يوسف ١٠١ ؛
(١٤) ابراهيم ١٠ ؛ (٣٥) فاطر ١ ؛ (٣٩) الزمر ٤٦ ؛ (٤٢) الشورى ١١ .

(٦) ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٢٧) النمل ٨٨ .

(٧) ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٦) الأنعام ١٠١ ؛ (٢) البقرة ١١٧ .

(٨) " لسان العرب " ١٠ ، ٨٥ .

غير اننا لا نجد فعل " برأ " في نص الكتاب الا مرة واحدة مع أن إسم الفاعل * البارئ * هو من الأسماء الحسنى [٩] . ولكن الطبري في تفسيره يستعمل " برأ " فعلا : " البارئ الذي برأ الخلق فأوجدهم بقدرته " [١٠] . ويخص " لسان العرب " فعل " برأ " بالحيوان عامة بما فيه الانسان ، معمما فعل " خلق " على السموات والأرض وما فيهما [١١] .

والله وحده هو الخالق : * هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ * [١٢] . والفرق الفارق بين الله وما سواه هو انه وحده يخلق وغيره لا يخلق شيئا ،

---

(٩) يرد إسم الفاعل " البارئ " مرة واحدة في القرآن ، في السورة التي ذكرناها : راجع هامش (٣) .

(١٠) " الجامع " ٢٨ ، ٣٧ .

(١١) " لسان العرب " ١ ، ٣١ .

(١٢) (٣٥) فاطر ٣ .

ولا حتى ذبابا [١٣] ، بل الجميع يُخلقون . فالآلهـة ذاتها انما هي مخلوقة : * آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا * [١٤] . وفي شـرحه عن الآلهة اصـناما واوثانا يذكر الطبري ما يلي : " فالله خالقكـم وخالق اوثانكم وخلق كل شيء فما وجه اشـراككم ما لا تخلُق ولا تضر (...) الاصـنام والاوثان التي لا تضر ولا تنفع " ، [١٥] بينما الله هو القادر على الضـر

---

(١٣) راجع (٢٢) الحج ٧٣ : * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُ * . ونجد في التلمود الأورشـليمي ما يلي : " ألم يقل ربي اليعازر باسم ربي يوسه بن زمرا ، ان اجتمـع جميـع سكان الأرض لما استطاعوا خلق ذبابة واعطاءها نسمة حياة ؟ "
" Mais, R. Eléazar n'a-t-il pas dit au nom de R. Yossé b. Zimra, si tous les habitants de la terre se réunissaient, ils ne pourraient pas créer une mouche et lui donner un souffle de vie ? " TJ, XI, 25.

(١٤) (٢٥) الفرقان ٣ .

(١٥) " الجامع " ١٣ ، ٨٩ و ٩٠ .

والنفع ، اذ " بيده الضرُ والنفع والثواب والعقاب وله القدرة الكاملة ... "[(١٦)] ونجد عند المفســرين اللاحقين ، كالزمخشري ، تفاصيلَ حول الاصنام والأوثان ، فيذكر صاحب " الكشاف " بعلًا ، " وهو علم لصنم كان لهم كَمَناة وهُبَل . وقيل : كان من ذهب (...) وهم اهل بعلبك من بلاد الشام ، وبه سميت مدينتهم بعلبك "[(١٧)] . وبعل هذا معروف جيدا في الكتاب المقدس[(١٨)] ومذكــــور

---

(١٦) المرجع نفسه ٧ ، ١٠٣ .

(١٧) " الكشاف " ٤ ، ٦٠ ، في تفسير (٣٧) الصـافات ١٢٥ * ... أَتَدْعُونَ بَعْـلًا ... * .

(١٨) في العهـد العتيق ، بالمفرد : راجع سفر الملوك الثالث ١٦ ، ٣١ ؛ ١٨ ، ١٩ و ٢١ و ٢٦ و ٤٠ ؛ ١٩ ، ١٨ (راجع استشهاد الآيـــة في العهـد الجديد في رسالة بولس " الى الرومانيين " ١١ ، ٤) ؛ سفر الملوك الرابع ١٠ ، ١٨ و ٢٨ ؛ إرميا ٢٣ ، ١٣ و ٢٧ ؛ بالجمع : سفر القضاة ١٠ ، ٦ ؛ إرميا ١١ ، ١٧ ؛ ١٩ ، ٥ .
بعل فاغور : سفر الأعداد ٢٥ ، ٥ ؛ مزمور ١٠٥ ، ٢٨ . بعل زبول : سفر الملوك الرابع ١ ، ٢ ؛ في العهـد الجديد : متّى ١٠ ، ٢٥ ؛ ١٢ ، ٢٧ ؛ مرقس ٣ ، ٢٢ ؛ لوقـا ١١ ، ١٥ .

في التلمود الأورشـليمي [١٩] كما يُعَرَّفُ به التلمود البابلـي الهًا للفهيقيين [٢٠] .
ممّا يدل على ان المفسـرين اللاحقين قد اسـتقَوْا ولا شـك معلوماتِ اسـرائيلياتهم
من اصولها اليهودية .

ولم يستَعِن الله في خلقه بأحد . وفي شـرحه للآيـة * مَّـــا
أَشْـهَدْتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّـمْوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِـذَ ٱلْمُضِـلِّينَ
عَضُـدًا * [٢١] يفسـر الطبري ارادة الله هذه كما يلي : " ما اشــهدت
إبليسَ وذريتَه خلق السـمٰوات والأرض (أي) ما احضرتُهم ذلك فأســتعينَ

---

(١٩) راجع TJ , IV , 117 .

(٢٠) راجع TB , A.Z. 60 حيث يذكر التلمود البابلي شيئا عن الصنم القائم في سـاعة عين بكي עין-בכי . وحسب ا. مشــكون (A. MISHCON) ، المترجم ، عين بكي انما هي بعلبــك :
" En-Bechi עין-בכי assumed to be identical with בעל-בכי Baalbek, a place between the Lebanon and the Anti-Lebanon mountains, the Greek Heliopolis".
(المرجع نفسه ، في الهامش) .

(٢١) (١٨) الكهـف ٥١ .

به على خلقه بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير مُعين ولا ظهير " [٢٢] ؛
وفي مكان آخر يحدد فكرته فيقول : " وانفرد (الله) بخلقها بغير شريك
ولا ظهير " [٢٣] ونجد فكرةً مشابهة في التلمود البابلي ، غير أنها
تستشهد بآدم بدلا من إبليس وذريته : " خُلق آدم (آخر المخلوقات)
عشيَّةَ يوم السبت . ولماذا ؟ - لئلا يقولَ الصَّدوقيون : كان للواحد
القدوس ، تبارك اسمه ، شريكٌ (أي آدم [ولو شاهدا او ظهيرا أي
مُعينا [٢٤]]) في خلقه المخلوقات" [٢٥] .

---

(٢٢) " الجامع " ١٥ ، ١٧١ .

(٢٣) المرجع نفسه ١١ ، ٦٠ . " وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين " ،
المرجع نفسه ١٣ ، ٦٣ .

(٢٤) " والظهير : المعين " : " لسان العرب " في " ظهر " ، ٤ ، ٥٢٥ .

(٢٥) " Adam was created (last of all beings) on the eve of Sabbath. And why ?- Lest the Sadducees say : The Holy One, blessed be He, had a partner (viz., Adam) in His work of creation. " TB, Sanh. 240.

وينقل الطبري عن كعب الأحبار قوله إنّ " فاتحة التوراة فاتحة الأنعام " [٢٦] : * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... * [٢٧] . كما ينقل أن كعبا كان يعتبر " خاتمة التوراة خاتمة هود " [٢٦] : * وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * [٢٨] . فان صحت هذه الروايات في كعب لوجدنا فيها لونا خاصًّا للاسرائيليات أيّ لتسرب بعض التفاصيل التوراتية الى التراث الاسلامي العربي [٢٩] .

---

(٢٦) " الجامع " ٧ ، ٩٣ .

(٢٧)(٦) الأنعام ١ .

(٢٨) (١١) هود ١٢٣ .

(٢٩) راجع هامش (٦) في كعب الأحبار وتحفظات الأقدمين والمحدثين في رواياته .

ب - الخلـق فعـــلًا

الخلق اذا من فعل الله . ولهذا الفعل الالهـي أوجـهٌ عديدة في القرآن ، أعرض لاثنين منها ، لأهميتها أولا ، ثم لارتباطهما بالاســرائيليات :

أ - الخلق من لا شـيء . ب - الخلق بالكلمة .

أ - الخلق من لا شـيء . - هو مُثبَتٌ في نص القرآن معـنىً وعقيدةً وايمانًا : « أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ * (٣٠) * أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا * (٣١) . * وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا * (٣٢) . * هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا » (٣٣) .

---

(٣٠) (٥٢) الـطور ٣٥ .

(٣١) (١٩) مريـم ٦٧ .

(٣٢) (١٩) مريـم ٩ .

(٣٣) (٧٦) الانســان ١ .

ونجد في تفسير الطبري لفعل الخلق من لا شيء توضيحا مُشَهَّبًا ، وان مال الى التعبير الفلسفي المجرّد اكثرَ منه الى اسلوب الاسرائيليات الروائي . وربما كان ذلك راجعا الى ان نص الكتاب المقدس في هذا الموضوع بالذات شحيحٌ جدا الى درجة العدم تقريبا ، اذ لا يذكر الا جملةً واحدةً في الخلق من لا شيء . اما التلمود ، فلا يأتي على ذكره البتّة .

ويفسّر الطبري أن الله خلق السموات والأرض " ولم يكونا شيئا قبلَه " ، وأيضا أن " لا شيءَ الا اللهُ خلقه " [٣٤] . وفي خلق الأرض يعلق قائلا إن الله " ابتدعها من غير أصل " [٣٥] ، وإنّ " معنى خلقِ اللهِ الأشياءَ ابتداعُه وايجادُه اياها بعد أن لم تكن موجودةً " [٣٦] ؛

---

(٣٤) " الجامع " ١٩٨٤٧ ، في تفسير * ... بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ... * : (٦) الأنعام ١٠١ .

(٣٥) المرجع نفسه ٢٦٢٦ ،في تفسير * ... مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ... * : (٤٦) الأحقاف ٤ ؛ راجع كذلك : ١١ ،٨٠ .

(٣٦) المرجع نفسه ٣٦٦٢ ، في تفسير * إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ...* : (٢) البقرة ١٦٤ .

و " معنى خلقِهِ ما خلق (...) انشاؤُه عنه واخراجُه من حال العدم الى الوجود " (٣٧) ، فـ " لا أولَ له ولا عُنْصُر " (٣٨) . والله " هو الأول قبل كل شيء (...) لأنه كان ولا شيء موجودٌ سواه ... " (٣٩) . والموجود " يُخرجه من حال العدم الى حال الوجود ولن يقدِر على ذلك غيرُ الله (...) إنَّ له تدبيرَ السمٰوات والأرض وما بينهما وتصريفه وإفناءَه واعدامه وايجادَ ما يشاء مما هو غيرُ موجود ولا مُنشأ " (٤٠) .

---

(٣٧) المرجع نفسه،١،١٤٩ ، في تفسير ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعًا ... ﴾ : (٢) البقرة ٢٩ .

(٣٨)

(٣٩) " الجامع " ٢٧،١٢٤ ، في تفسير ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلأَرْضَ ... ﴾ : (٥٧) الحديد ٤ .

(٤٠) المرجع نفسه ٦،١٠٥ ، في تفسير ﴿ ... وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ ... ﴾ : (٥) المائدة ١٧ .

وفي خلق الانسـان ، يفسر واضعُ " جامع البيان " * ٱلنَّشْـأَةَ ٱلْأُولَـىٰ * [٤١] أي خلْقَ الانسـان الأول من العدم ، فيقول " اذ لم تكونوا شـيئا " [٤٢] ؛ وفي شرحه لـ * خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَـيْءٍ * [٤٣] يُجَسِّمُ فكرته محددا : " أي من غير آباء وامهات (...) ام خلقوا لغير شـيء كقول القائل فَعَلْتُ كذا وكـذا من غير شـيء بمعنى لغير شـيء " [٤٤] .

هذا الخلق من لا شـيء أمر مطلق ، أي أَنه من لا شيء مطلق . وثمة تفسـيرٌ للطبري في خلق آدم يُمْكِنُ نعتُهُ خلقًا من شـيء نسـبي . ففـي شـرحه الآيـة * هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَـيْئًا مَّذْكُورًا * [٤٥] ، يقول ابن جرير " أي كان شـيئًا غيرَ أنه لم يكن شـيئا مذكورا (...) لم يكن شيئا له نباهةٌ ولا رفعةٌ ولا شـرف انما كان طينـا

---

(٤١) * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْـأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * : (٥٦) الواقعة ٦٢ .
(٤٢) " الجامع " ٢٧، ١١٤ .
(٤٣) (٥٢) الـطور ٣٥ .
(٤٤) " الجامع " ٢٧، ٢٠ .
(٤٥) (٧٦) الانسـان ١ .

لازِبــا وحَمًّا مســنونا " (٤٦) .

وتكتمل فكرة الخلق من لا شــيء عند الطبري عندما يلجأ اليها في شــرحه قُدرةَ الله على اعادة الخلق بعد إفنائــه ، اذ من اســتطاع الخلــقَ من العدم مرة اولى ، استطاعهُ مراتٍ متواليةً ، فالنشــأة الأولى تعادلها ﴿ النَّشْأَةَ الْأُخْـرَىٰ ﴾ (٤٧) او ﴿ النَّشْـأَةَ الْآخِـرَةَ ﴾ (٤٨) : " الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بانشــائه من غير شــريك ولا ظهير فيحدثهُ من غير شـــــيء بل بقدرتــه عز وجل ثم يعيدُه خلقا جديدا بعد إفنائــه واعدامه كما بدأه خلقــا ســويا ولم يكُ شــيئا ثم اليه تُرجَعون يقول ثم اليه من بعد اعادتهم خلقا جديدا يُردُّون فيُحشَــرون لفصل القضــاء بينهم ... " (٤٩)

---

(٤٦) " الجامع " ١٢٦،٢٩ .

(٤٧) ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْــأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ : (٥٣) ســورة النجم ٤٧ .

(٤٨) ﴿ ... ثُمَّ اللَّهُ يُنشِــئُ النَّشْــأَةَ الْآخِــرَةَ ... ﴾ : (٢٩) العنكبوت ٢٠ .

(٤٩) " الجامع " ١٨،٢١ . راجع ايضا ٤،٢٠ و ٨٠،١١ .

وكما سبق وألمحت فالخلق من لا شيء لمن معطيات الوحي .
غير أن تبلور الفكرة فالتعبير عنها نصا لم يدون في الكتاب المقدس الا في عصر متأخر ، اعني في القرن الثاني قبل الميلاد [٥٠] ، اذ نجد في سفر المكابيين الثاني فقط العبارة الشهيرة لاهوتيا : فاعلم ان الله صنعها (= السموات والأرض) من العدم [٥١] .

ويفسر صاحب " الرسالة الى العبرانيين " ايمان ابراهيم واستعداده لتضحية ابنه اسحق لأنه اعتقد ان الله قادر حتى على اقامة الأموات [٥٢] .

---

(٥٠) راجع : Les Livres des Maccabées in "La Sainte Bible traduite en français sous la direction de l'Ecole Biblique de Jérusalem", Paris, Le Cerf, 1948; p. 17.

(٥١) ٢ مكابيين ٧، ٢٨ .

(٥٢) " الى العبرانيين " ١١، ١٩ .

ويقول بولس في رسالته الى الرومانيين عن الله إنه يحيي الأمواتَ ويدعو الى الوجود غيرَ الموجود . (٥٣)

أما في التلمودين الأورشليمي والبابلي ، فلم أجد أيَّ أثر للخلق من لا شيء .

ب - الخلق بالكلمة . يتم فعلُ الخلق الالهي حسب القرآن بواسطة الكلمة * كُن فَيَكُونُ * . وآيات الأمر بالخلق عديدةٌ ، غير ان تركيبها المعنوي وحتى اللفظي واحد . فثمة آياتٌ عِدّةٌ من هذا القبيل في الخلق بعامة ، وآيةٌ واحدةٌ في خلق آدم بخاصة . * إِذَا قَضَىَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * (٥٤) . * وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ * (٥٥) . * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * (٥٦) . * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ

---

(٥٣) " الى الرومانيين " ٤،١٧ .

(٥٤) (٢) البقرة ١١٧ ؛ (٣) آل عمران ٤٧ ؛ (٤٠) غافر ٦٨ ؛ (١٩) مريم ٣٥ .

(٥٥) (٦) الأنعام ٧٣ .

(٥٦) (١٦) النحل ٤٠ .

شَـيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * [٥٧] . اما الآيـة التي تعني خلق آدم فهي : * خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * [٥٨] .

ويشـرح الطبري خلق الله بالكلمة ويُسْـر هذا الخلق بقولـــه إن ما يُبدعـه الله لا يبدعه " بِمَعْناةٍ وكُلْفَةٍ ولا ينشـئه بمُعالجة وشِـدَّة " [٥٩] ، بل خَلْقُه جميعَ ما خلق " هينٌ على الله " [٦٠] . وبين التفاسـير العديدة الـتي يسـردها للآيـة * وَمَا مَسَّـنَا مِن لُّغُوبٍ * [٦١] يذكر التأويـل " وما مســـنا

---

(٥٧) (٣٦) يس ٨٢ .

(٥٨) (٣) آل عمران ٥٩ .

(٥٩) " الجامع " ١٦، ٦٤، في تفسيره الآية ٣٥ * إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * من سـورة (١٩) مريم . راجع كذلك تفسيره للآيـــة ٤٠ من سورة (١٦) النحل : * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَـيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * ، أيّ " لا معاناة فيه ولا كلفة علينا " ، " الجامع " ١٤، ٧٣ .

(٦٠) " الجامع " ٢٤، ٥٠ .

(٦١) * وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّـمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِـن لُّغُوبٍ * (٥٠) ق ٣٨ .

من إعياء " (٦٢) . وترد هنا فكرة الخلق بالحق (٦٣) . فينقل الطبري في تفسيره ما يُفهم بهذا " الحق " ، فاذا " هو صفةٌ للقول " (٦٤) ومجردُ الخلق : " بكلامه وقوله لهما (= السموات والأرض) ائتيا طوعا او كرها (...) فالحق في هذا الموضوع مُعنىً به كلامُه " ، فعبارة الحق لا تعني شيئا آخر سوى القول والكلام ، " فالله خلق الاشياء بكلامه وقيله كما خلق به الاشياء غير المخلوقة " (٦٥) .

---

(٦٢) " الجامع " ٢٦، ١١١ .

(٦٣) ترد هذه العبارة مرارا في القرآن : (٦) الأنعام ٧٣ ؛ (١٤) ابراهيم ١٩ ؛ (٣٠) الروم ٨ ؛ (٣٩) الزمر ٥ ؛ (٤٥) الجاثية ٢٢ ؛ (٤٦) الأحقاف ٣ ؛ (١٠) يونس ٥ ؛ (١٦) النحل ٣ ؛ (٢٩) العنكبوت ٤٤ ؛ (٤٤) الدخان ٣٩ ؛ (٦٤) التغابن ٣ .

(٦٤) " الجامع " ٧، ١٥٥ .

(٦٥) المرجع نفسه ١٥٦ .

وثمة آيتان في القرآن تصفان الله خالقا للسموات والأرض دون إعياء ولا تعب . * أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * (٦٦) .

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى * (٦٧) .

ومن الطريف ان نسجل هنا ما يذكره الطبري نقلًا عن قتادة (٦٨) بخصوص العبارة * كُنْ فَيَكُونُ * : " ليس في كلام العرب شيء هو أخفُّ من ذلك ولا أَهْوَنُ فأمر الله كذلك وقوله " (٦٩) .

---

(٦٦) (٥٠) ق ١٥ .

(٦٧) (٤٦) الأحقاف ٣٣ .

(٦٨) قتادة هو ابن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري الأوسي : صحابي بدري . توفي بالمدينة . له سبعة احاديث . (٠٠ - ٢٣ / ٠٠ - ٦٤٤) . (راجع " الأعلام " ٦، ٢٧)

(٦٩) " الجامع " ٢٣، ٢٢ في تفسير (٣٦) يس ٨٢ : * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * .

ويثير ابن جرير حول " الخلق بالكلمة " مشـكلتين لاهوتيتين طالما شـغلتا الفلاسـفةَ وعلماءَ الكلام . تتعلق المشـكلة الأولى بالأمر والمأمور وعلاقـةِ وجود الواحد بوجود الآخر . " فان قال لنا قائل: وما معنى قولِه: واذا قضـى امرا فانما يقول له كن فيكون، وفي أيّ حالٍ يقول للأَمْر الذي يقضـيه كن، أفي حال عدمه، وتلك حالٌ لا يجوز امرُهُ اذ كان مُحالا أن يأمُرَ إلَّا المأمورَ، فاذا لم يكـن المأمورُ استحالَ الأمرُ، كما مُحالٌ الأمرُ من غير آمرٍ فكذلك مُحالٌ الأمرُ من آمرٍ إلّا لمأمورٍ، أم يقول له ذلك في حال وجوده، وتلك حالٌ لا يجوز أَمرُهُ فيها بالحـدوث لأنه حادثٌ موجودٌ ولا يقال للموجود كن موجودا الا بغير معنىَ الأمر بحدوث عينه " (٧٠) . فيكون الخلق اذا بالنسـبة الى ما قبله . ويهتدي الطبري الى حل لهذه القضـية في تميـيزه بين الوجود فكرةً في الله والوجـودِ واقعـًا فـي فعل خلق الله ، أي بكلام آخر بين الوجود بالقوة (in posse) والوجودِ بالفعل (in esse) : " ان الله عالم بكل ما هو كائنٌ قبـل كونـــه فلما كان ذلك كذلك كانت الاشـياء التي لم تكن وهي كائنةٌ لعلمه بهـا قبـل

---

(٧٠) " الجامع " ١، ٤٠٥ .

كونها نظائرَ التي هي موجودةٌ فجاز ان يُقالَ لها كوني ويأمرَها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود لِتصَوُّرِ جميعِها له ولعلْمِه بها في حال العدم " .(٧١)

أما المشكلة اللاهوتية الثانية فهي تمتّ الى كلمة الله الخالقة غيرِ المخلوقة : فان خلق الله بكلمته " وجب ان يكون كلامُ الله الذي خلق به الخلقَ غيرَ مخلوقٍ " ... (٧٢)

ويُسبغُ الكتابُ المقدس على كلمة الله في خلقه السموات والأرض القدرةَ والبساطةَ والسهولةَ عينها . ففي سفر التكوين نرى الله يخلُق العالم بكلمته الآمرة : وقال الله ليكن نورٌ فكان نور (٧٣) ... وقال الله ليكن جَلَدٌ في وَسْطِ المياه (٧٤) ... وقال الله لِتجْتَمِع المياه التي تحت السماء الى موضع واحد وليظهر اليَبَس . فكان كذلك ... (٧٥) وقال الله لتنبتِ الأرض

---

(٧١) المرجع نفسه ، المكان نفسه .

(٧٢) " الجامع " ١٥٦،٧ .

(٧٣) سفر التكوين ١،٣ .

(٧٤) المرجع نفسه ١،٦ .

(٧٥) المرجع نفسه ١،٩ .

نباتا عُشْـبًا ... فكان كذلك [٧٦] الخ ... وسـيردد التفكير اللاهوتي فيما بعد صـدى فعل هذا الخلق بالكلمة خِلال الأسـفار الالهية . فصاحب المزامير ينشد : بكلمة الرب تشددت السموات وبروح فيه كلُ قواتها ... لأنه هو قال فكانـوا وهو أمر فخُلقوا [٧٧] . فلتسـبح (اعلى السموات) لاسم الرب . لأنه هو قال فكانت وهو أمر فخُلقت [٧٨] ... والحكمة ترنم : وحين شمل كلَّ شيء هدوءُ السـكوت وانتصـف مسـيرُ الليل هجمت كلمتكَ القديرةُ من السماء من العروش الملكيـــة على أرض الخراب بمَنْزِلةِ مبارزٍ عنيف [٧٩] . ويعلن النبي أَشَـعْيا : لأنه كما يـنزِل المطر والثلج من السماء ولا يرجِعُ الى هناك بل يَرْوي الأرض ويجعلُها تُنشـــئ وتُنبت لِتؤْتيَ الزارعَ زرعا والآكلَ طعاما ، كذلك تكون كلمتي التي تخرج من فمـي

---

(٧٦) المرجع نفسـه ١، ١١ .

(٧٧) مزمـور ٣٢، ٦ و ٩ .

(٧٨) مزمـور ١٤٨، ٥ .

(٧٩) الحكمة ١٨، ١٥ .

لا ترجع إليّ فارغة بل تُتِمُّ ما شئتُ وتنجحُ فيما أرسلتُها له [٨٠] . ويصرّح واضع " الرسالة الى العبرانيين " ان الله كوّنَ العالَمين بكلمةٍ منه فصنع ما يُرى مما لا يُرى [٨١] . ولربما لخص الرسول بولس الوَحْيَ بأجمعهِ عندما كتب " الى الرومانيين " معلنا ان الله هو الذي يُحيي الامواتَ ويدعو العدمَ الى الوجود (بكلمته) [٨٢] . أما يوحنا الانجيلي فيكشف ان في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان لدى الله ، والكلمة هو الله . كان منذ البدء لدى الله . به كان كل شيء وبغيره ما كان شيء [٨٣] ... الى ان يُعلن : والكلمة صار بشرا وسكن بيننا [٨٤] .

---

(٨٠) أشعيا ٥٥ ، ١٠-١١ .

(٨١) " الى العبرانيين " ١١،٣ .

(٨٢) " الى الرومانيين " ٤،١٧ .

(٨٣) يوحنا ١،١-٣ .

(٨٤) يوحنا ١،١٤ .

ونجد في نبوءة أَشَـعْيا ما يلي : أما عَلِمْتَ أَوَ ما سَـمِعْتَ ان الرب الهُ سـرمدي خالقُ أقاصـي الأرضِ لا يتعب ولا يُعْيِـي ولا فَحْصَ عَنْ فَهْمِهِ[٨٥] .

اما في التلمود البابلـي فيلوحُ تَلَمُّسٌ الى التميـيز الفلسـفي بـين الخلق بالقوة والخلق بالفعـل[٨٦] .

---

(٨٥) أشـعيا ٤٠،٢٨ .

(٨٦) راجع التلمود البابلـي :

" It is generally held that what is meant is that these things were created on the Sabbath eve at twilight, <u>in posse</u>, to become available <u>in esse</u> when the right time for their use would arrive. "

Ab. 64, footnote 5.

هذا هو محصولنا اذا في " الاسرائيليات " حول الخلق فكرةً وفعلًا حَسَبَ ورودِها بخاصة في تفسير الطبري مع ما يقابلها في التوراة والتلمود . غير ان الخلق في الوحي الالهي انما هو قبل كل شيء حدثٌ بل وقصةٌ ، وهذه القصة تنقلنا الى القسم الثالث من بحثنا .

ج - الخلق حدثا

سأعرض لأحداث ثلاثة : ١- خلق السموات والأرض .
٢- في الملائكة . ٣- خلق الانسان .

١- خلق السموات والأرض

نجد في روايات الخلق العديدة المجموعة في كتب التفسير للطبري والثعلبي والزمخشري بعضَ التفاصيل التي تكشفها لنا فصولُ سفر التكوين الأولى ، غير ان هذه العناصرَ مبعثرةٌ هنا وهناك . فلم أقع على قصة كاملة واحدة تعكسُ روايةَ الخلق في التوراة انعكاسا شاملا كليا ، كما أنني لم أعْثُر في التلمود على اصول روايات المفسرين .

وها هي محاولةٌ لمقابلة نص التوراة في خلق السموات والأرض مع نص القرآن أولا ثم مع روايةٍ ينقلها الطبري عن

محمد بن اسحٰق [٨٧] ربما كان نصها اقربَ من غيره الى نص الكتاب المقدس .
وهذه الازائية [٨٨] تعطينا ، برأيي ، فكرةً صادقةً عن الفرق بين نص
التوراة ونص القرآن فنصوص كتب التفسير .

---

(٨٧) " صاحب السيرة ابو عبد الله محمد بن اسحٰق بن يسار (...) وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول (...) وتوفي سنة خمسين ومائة وله من الكتب " كتاب الخلفاء " رواه عنه الأموي و " كتاب السيرة والمبدأ والمغازي " (" الفهرست " ٩٢) . روى عن سيرته النبوية ابن هشام (- حوالي ٢١٨/ ٨٣٤) (راجع مقال برو كلمن ، IBN ISḤĀḲ ,EI[1] , II , 413) .

(٨٨) فذلك أدبية تضع نصا ازاء الآخر للمقارنة بينهما . راجع " الازائية الانجيلية " ، نظمها باليونانية والفرنسية الأبوان لاكرانج ولافيرن الدومنكيان ، نقلها عن نصها الفرنسي الى نص عربي الأب مرمرجي الدومنكي . مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية - لبنان ، ١٩٤٨ .

الكتـــاب المقـدّس

الفصـل الأول من " سـفر التكويـــــن "

١ في البدء خلق الله السموات والأرض

القرآن الكريم

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ * (٦) الانعام ١

* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ * (٦) الانعام ٧٣

* يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ * (٩) التوبة ٣٦

* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ * (١٤) ابراهيم ١٩

* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ * (١٤) ابراهيم ٣٢

* خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ * (١٦) النحل ٣

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ * (١٧) الاسراء ٩٩

كتـب التفسـير

الطـبري ، " الجامـع " ، روايـة

محمد بن اسـحق

٢ وكانت الأرضُ خاويةً خاليةً وعلى وجه الغَمْرِ ظلامٌ وروحُ الله يُرِفُّ على وجه المياه .

٣ وقال الله ليكن نور فكان نور .

٤ ورأى اللهُ النورَ إنّه حسنٌ . وفصل اللهُ بين النورِ والظلام .

٥ وسمّى اللهُ النورَ نهارًا والظلامَ سماه ليلا . وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ واحد .

٦ وقال الله ليكن جَلَدٌ في وَسْطِ المياه وليكن فاصلا بين مياهٍ ومياه .

* خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا * (٣١) لقمان ١٠

* ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبَاقًا * (٦٧) الملك ٣

* السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضَ كانَتَا رَتْقًا * (٢١) الانبياء ٣٠

* وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ * (١١) هود ٧

* إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * (١٦) النحل ٤٠

* وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ... * (٢١) الانبياء ٣٣

* وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَٱلنُّورَ * (٦) الانعام ١

* رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * (٧٩) النازعات ٢٨

* ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ * (٤١) فصلت ١١

* وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً * (١٧) الاسراء ١٢

* ... قِطَعًا مِنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا * (١٠) يونس ٢٧

* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * (٧٩) النازعات ٢٩

كان أولُ ما خلق اللـــهُ تبـــارك وتعالـــى

النورَ والظـــلمة

ثم مـيز بينهما فجعل الظلمـةَ ليلا اسودَ مظلِمًا

وجعل النـــورَ نهارا، مضيئا مبصـــــــــــرا

ثم سَـمَكَ السموٰاتِ السبْعَ من دخـان يقـــال

والله اعلـم من دخـان المـاء حتى اَسْــتَقْلَلْنَ

ولم يَحْبُكْهُنَ وقد أَغطش في الســماء الدنيــا

ليلهـــا وأخرج ضُحـــاها فجرى فيهـــا الليـــلُ

والنهـــارُ وليس فيها شمــسٌ ولا قمـــرٌ ولا نجومٌ

٧ فصنع اللهُ الجَلَدَ وفصَل بين المياهِ التي تحتَ الجَلَد والمياهِ التي فوق الجَلَد فكان كذلك ·

٨ وسمى اللهُ الجَلَدَ سماءً · وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ ثانٍ ·

٩ وقال الله لتجتمع المياهُ التي تحت السماء الى موضعٍ واحد وليظهرِ اليَبَس · فكان كذلك ·

١٠ وسمى اللهُ اليَبَسَ أرضًا ومجتمعَ المياهِ سماه بحارًا · ورأى الله ذلك إنه حسن ·

١١ وقال اللهُ لِتُنبِتِ الأرضُ نباتا عُشبًا يُبزِرُ بزرًا وشجرا مثمرا يُخرِجُ ثمرا بحَسَبِ صِنفه بزرُهُ فيه على الأرض · فكان كذلك ·

١٢ فأخرجت الأرضُ نباتا عُشبًا يُبزِرُ بزرا بحسب صِنفه وشجرا يُخرِج ثمرا بزرُهُ فيه بحسب صِنفه · ورأى اللهُ ذلك إنّه حسنٌ ·

١٣ وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ ثالثٌ ·

١٤ وقال اللهُ لتكُنْ نيّراتٌ في جلَدِ السماءِ لِتفصِلَ بين النهارِ والليلِ وتكونَ لآياتٍ واوقاتٍ وأيامٍ وسنينَ ·

* كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى * (١٣) الرعد ٢

* وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ * (٢١) الانبياء ٣٠

* وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * (٧٩) النازعات ٣٠

* وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا * (٧٩) النازعات ٢٢

* وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً * (٤١) فصلت ١٠

* وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ * (٧) الاعراف ٥٤ و (٢٢) الحج ١٨

* ... ٱلْأَرْضَ ... وَبَثَّ فِيهَا ... * (٢) البقرة ١٦٤

* وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ * (٣٦) يس ٣٣ ـ ٣٥

* فَأَنۢبَتْنَا بِهِ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ وَٱلنَّخْلَ ... * (٥٠) قٓ ٩ ـ ١٠

* وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ * (١٧) الاسراء ١٢

ثم دحى الأرض وأرساها بالجبال وقدر فيها الأقوات وبث فيها ما اراد من الخلق ففرغ من الأرض وما قدر فيها من اقواتها في اربعة أيام .

١٥ وتكونَ نيّراتٍ في جَلَد السماء لِتُضيءَ على الأرض . فكان كذلك .

١٦ فصنع اللهُ النيّرين العظيمين النيّرَ الأكبرَ لحُكمِ النّهارِ والنّيّرَ الأصغرَ لِحُكمِ الليلِ والكواكبَ .

١٧ وجعلها الله في جَلَدِ السماء لِتُضيءَ على الارض .

١٨ ولِتَحْكُمَ على النهار والليل وتَفْصِلَ بين النور والظلام . ورأى اللهُ ذلك إنه حسنٌ .

١٩ وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ رابعٌ .

٢٠ وقال الله لِتَفِضِ المياهُ زحّافاتٍ ذاتَ أنْفُسٍ حيّةٍ وطيورًا تَطيرُ فوقَ الأرضِ على وَجْهِ جَلَدِ السماءِ .

٢١ فخلق اللهُ الحيتانَ العِظامَ وكلَّ دابٍ من كل ذي نفْسٍ حيّةٍ فاضت به المياهُ بحسب أصنافِهِ وكلَّ طائرٍ ذي جَناحٍ بحسب أصنافه . ورأى الله ذلك إنّه حسنٌ .

* ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ * (٤١) فصلت ١١

* ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * (٥٥) الرحمن ٥

* وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * (٢١) الانبياء ٣٣

* قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ * (٤١) فصلت ٩

* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ * (٤١) فصلت ١٢

* وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ * (٥١) الذاريات ٧

* وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا * (٤١) فصلت ١٢

٢٢ وباركها الله قائلا آنمي واكثري واملأ ي المياهَ في البحار وليكثر الطيرُ على الأرض .

٢٣ وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ خامسٌ .

٢٤ وقال الله لِتُخرِج الأرضُ ذواتِ أنفسٍ حيةٍ بحسب أصنافها بهائمَ ودباباتٍ ووحوشَ أرضٍ بحسب اصنافها . فكان كذلك .

٢٥ فصنع اللهُ وحوشَ الأرضِ بحسب اصنافها والبهائمَ بحسب اصنافها وكلَّ دباباتِ الأرضِ بحسب اصنافها . ورأى الله ذلك إنه حسن .

٢٦ وقال الله لِنَصْنَعِ الانسانَ على صورتنا كمثالنا وَلْيَتَسَلَّطْ على سمكِ البحر وطيرِ السماءِ والبهائمِ وجميعِ الأرضِ وكلِ الدباباتِ الدابةِ على الأرض .

٢٧ فخلق الله الانسانَ على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خَلَقَهُمْ .

٢٨ وباركهُمُ اللهُ وقال لهمُ آنموا واكثرُوا واملأُوا الارضَ وأَخْضِعوها وتسلطوا على سمك البحر وطيرِ السماء وجميعِ الحيوانِ الدابِ على الأرض .

* وَبَٰرَكَ (الله) فِيهَـا (في الأرض بعد خلقهـــا) * (٤١) فصلت ١٠

* وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُــونَ وَلَكُــمْ فِيهَـــا جَمَــالٌ ...) (١٦) النحل ٥ ـ ٦

* وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَــالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَـةً * (١٦) النحل ٨

* وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَـــةً ... * (٢) البقـرة ٣٠

* هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًـــا * (٢) البقرة ٢٩

ثم استوى الى السماء وهي دخان كما قال
فحبكهُنَّ وجعل في السماء الدنيا شمسَها
وقمرَها ونجومَها وأوحى في كل سماء أمرَها
فأكمل خَلْقَهُنَّ في يومين .

٢٩ وقال الله ها قد أعطيتكم كل عشب يبزر بزرا على وجه الأرض كلها وكل شجر فيه ثمر يبزر بزرا يكون لكم طعاما ·

٣٠ ولجميع وحش الأرض وجميع طير السماء وجميع ما يدب على الأرض مما فيه نفس حية جميع بقول العشب جعلتها مأكلا فكان كذلك ·

٣١ ورأى الله جميع ما صنعه فاذا هو حسن جدا ·

٣٢ وكان مساء وكان صباح يوم سادس ·

الفصل الثاني

١ فأكملت السموات والأرض وجميع جيشها ·

٢ وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ·

٣ وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه ·

(تكوين ١ ، ١ — ٣٢ و ٢ ، ١ — ٣)

* إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ * (٧) الاعراف ٥٤ و(١٠) يونس ٣

* وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... * (١١) هود ٧

* هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ * (٥٧) الحديد ٤

* ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ * (٢٥) الفرقان ٥٩

* ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * (٤١) فصلت ١١

* ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ * (٢) البقرة ٢٩

نفرَغ من خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى
في اليوم السابع فوق سمواته ثم قال للسموات والأرض أئتيا طوعا
او كَرها لما اردتُ بكما فَاطْمَئِنّا عليه طوعا او كَرها قالتا أتينا
طائعين ٠ "

(" الجامع " ١٥١،١ ـ ١٥٢)

ان هذه المقارنةَ قد تساعدُنا على تصور ما تَسَرَّبَ من عناصرِ الاسرائيلياتِ الى كتب المفسرين خِلالَ الرُواة • فبامكاننا عرضُ الاستنتاجات التالية :

١) نجد في النصّ التوراتي تَدَرُّجًا في الخلق وتَوالِيًا لمراحِلِهِ يوما بعد يوم • بينما يخلو القرآنُ من المراحل والعلاقات الزمنيةِ ، ويقتصر على مجرد حدثٍ هو خلقُ السمٰوات والأرضِ • اما في رواية محمد بن اسحق فنعثر على بعض بوادِرِ التَّدَرُّجِ والعلاقاتِ الزمنيةِ • فقوله : "كان اول ما خلق الله النور والظلمة" ، يَرُدُّنا الى تكوين ١، ٣ : وقال الله ليكن نور فكان نور ، حيث بعد خلق السمٰوات والأرض بعامة ، أولُ ما خلقه الله بخاصة كان النور •

٢) وثمة حدث التمييز بين النور والظلام • يقول محمد بن اسحق : " ثم ميز (الله) بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلِما وجعل النور نهارا مضيئًا مبصرا " ، مما يذكرنا كذلك بتكوين ١، ٤-٥ ، حيث فصل الله بين النور والظلام وسمى الله النورَ نهارا والظلامَ سماه ليلا •

٣) والتعبير " دخان الماء " الذي يفسر اللفظة القرآنية * دُخانٌ * (٨٩) تذكرنا بال بخار الذي كان يَصْعَدُ من الأرض فيسقي جميع وجهها (تكوين ٢، ٦). (٩٠)

٤) والعبارة " اليوم السابع " ليست بقرآنية ، ولكنها توراتية : تكوين ٢، ٣ אֶת־יוֹם הַשְּׁבִיעִי.

٥) ونجد في القرآن دائما الجمع المؤنث السالم " الظلمات " ، ولم اعثر على اسم المذكر " الظلام " او المؤنث " الظلمة " . بيد ان محمد بن اسحق في روايته هذه لا يستعمل " الظلمات " ، انما يستعين ~~تارة بـ " الظلام " وطورا~~ بـ " الظلمة " (٩١) . واللفظة العبرية חֹשֶׁךְ اسم جمع مذكر . (٩٢)

---

(٨٩) (٤١) فصلت ١١ ؛ (٤٤) الدخان ١٠ .

(٩٠) سنعود الى هذه النقطة فيما بعد ، انظر ص ٥٢-٥٦ .

(٩١) الترجمة الكاثوليكية للكتاب المقدس تستعمل " الظلام " ، والترجمة البروتستنتية " الظلمة " .

(٩٢) راجع : A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament (...) based on (...) GESENIUS.

٦) وثمة لفظان يستعملهما محمد بن اسحق في روايته هذه لم اعثر لهما على أثر في القرآن لا لفظا ولا مفهوما : " أكمل " و " فرغ " . والذي يلفت النظر أن هذين الفعلين مستعملان في الترجمتين العربيتين للكتاب المقدس الكاثوليكية والبروتستنتية لتعريب الفعل العبري الواحد : וַיְכֻלּוּ = فأكملت (تكوين ٢، ١) ، וַיְכַל = وفرغ (تكوين ٢، ٢) .

وما عدا ذلك النزر (ما تحته خط احمر في الازائية) فنص رواية محمد بن اسحق في مفرداته ومحتواه مطابق لنص القرآن لفظا وعبارة (ما تحته خط متواصل بقلم الرصاص) ، او على الأقل جذرا (خط متقطع) (٩٣) .

---

(٩٣) وثمة رواية عن ابن عباس تصف لقاء بين النبي محمد ووفد من اليهود ، وهي جديرة بالنقل لما فيها من ضوء تلقيه على علاقات النبي العربي ويهود بيئته وزمانه ؛ وتتحدث هذه الرواية عن خلق السموات والأرض . كما تتطرق الى الاختلافات الجوهرية بين العقيدتين الاسلامية واليهودية في بعض معطيات الوحي بخصوص الخلق بالذات :
" ان اليهود أتت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض قال خلق الله الأرض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة ثم قال انكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين لمن سأل قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه فخلق في اول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات وفي الثانية القى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم واسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو اتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون . " (" الجامع " ٢٤، ٦١) →

ولما كان استحالَ عليّ ايجادُ ازائيةٍ صحيحةٍ بين روايات كتب التفسير والتوراة وحتى التلمود ، فإنني اكتفي باستعراض بعض التفاصيل الواردة بهذا الخصوص والتي تشكل ، بخاصة عند الطبري ، " الاسرائيليات " في قصة خلق السمٰوات والأرض .

تردد كتبُ التفسير ، إثرَ القرآن ، " السمٰوات السبعَ " وكذلك " الأَرَضين السبْعَ " (٩٤) . ولم اجد هذا التعبيرَ الاخيرَ لا في الكتاب المقدس ولا في التلمود . غير أننا نعلم حسَبَ السنّةِ اليهوديةِ بوجود سمٰوات

---

(٩٤) راجع (٢) البقرة ٢٩ : * فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ * ؛ (١٧) الاسراء ٤٤ : * تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمٰوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ * ؛ (٢٣) المؤمنون ٨٦ : * قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * ؛ (٤١) فصلت ١٢ : * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ * ؛ (٦٥) الطلاق ١٢ : * ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ * ؛ (٦٧) الملك ٣ : * ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * ؛ (٧١) نوح ١٥ : * خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * . — فالتعبير * ٱلسَّمٰوَاتُ ٱلسَّبْعُ * موجود اذا في القرآن لفظا ومعنى . ولكن " الأرضين السبع " ليس موجودا في الكتاب لفظا وان كان مذكورا فيه معنىً : (٦٥) الطلاق ١٢ .

سبْع[٩٥] . ويذهب الثعلبي ،نقلا عن وهب بن منبّه ، فيمدنا بأسماء السموات السبع : " أولها سماء الدنيا ديناح ، والثانية ديقا ، والثالثة رقيع ، والرابعة فيلون ، والخامسة طفطاف ، والسادسة سمساق ، والسابعة اسحاقائل " [٩٦] . وفي رواية عن الضحاك ومقاتل يسرد الثعلبي أسماءً سبعةً أخرى : " برقيعا " ، " قيدم " ، " الماعون " ، " فيلون " ، " اللاحقوق " ، " عاروس " ، " الرقيع " [٩٧] . ونعثر في التلمود البابلي على اسماء السموات السبْع وهي : " فيلون " و " راقيع " و " شحاقيم " و " زبول " و " ماعون " و " ماكون " و " عروت "

---

(٩٥) راجع في التلمود البابلي (TB) Nedarim (6),125 ; Sanhedrin (1), 757 :
"According to tradition, there are seven heavens".
"On suppose qu'il y a 7 ciels supérieurs". TJ I, 7, n.6.

(٩٦) " قصص الأنبياء " ١٢ .

(٩٧) المرجع نفسه ١٣-١٤ .

و " عربوت " (٩٨) ؛ وهي كما يتبيّن لنا لا تطابق قائمتي الثعلبي الا في ثلاثة اسـماء هي " الماعون " و " الرقيع " و " فيلون " (٩٩) . وربما اتى اســـم " اسحاقائل " تحريفا لاسـم " شحاقيم " .

ويمدنا صاحب " عرائس المجالس " بأسـماء الأرَضـين الســبْع ، نقلا عن وَهَبٍ بن منبِّه ايضـا : " الأولى من الأرض تسمى أديما ، والثانيـة

---

(٩٨) "Resh Lakish said : (There are) seven (heavens or firmaments), namely, Wilon, Rakia', Shehakim, Zebul, Ma'on, Makon, 'Araboth." Hagigah 69. وها هي هذه الاسماء السبع بالعبرية : וילון، רקיע، שחקים، זבול، מעון، מכון، ערבות. نقـلا عـن Heinrich SPEYER, Die Biblischen Erzählungen im Qoran, S. 12.

(٩٩) وفي التلمود المذكور وصف مفصل لكلٍّ من هذه السمٰوات الســبع : المرجع نفسه 69-73 . - والأرجح ان بولس في العهد الجديد يُرَجِّع صدى تعدد هذه السمٰوات في رسـالته الثانية الـى اهـل قورنتس ٢،١٢ ورسـالته الى اهل أفسس ١٠،٤ .

بسيطا ، والثالثة ثقيلا ، والرابعة بطيحا ، والخامسة متثاقلة ، والسادسة ماسكة ، والسابعة ثرى " (١٠٠) . والاسم الأول : أديما ، له علاقة واضحة بلفظة אֲדָמָה ، وهو الاسم العبري للأرض او التراب ، واسم " آدم " انما مشتق منها (١٠١) . وكما سبق وذكرت لم اجد ذكرَ "الأرضين السبْع " لا في التوراة ولا في التلمود .

وتأتي بعضُ الروايات على ذكر " الدخان " الذى سَمَكَ به اللهُ السمواتِ السبْعَ عند خلقها (١٠٢) . وهذا الدخان يصبح " دخانَ

---

(١٠٠) " قصص الانبياء " ٨ .

(١٠١) تكوين ١، ٢٥ : הָאֲדָמָה معربة " الأرض " : دبابات الأرض ؛ كذلك في تكوين ٣، ١٩ : حتى تعود الى الأرض . راجع " الكتاب المقدس " في ترجمتيه الكاثوليكية والبروتستنتية .

(١٠٢) في " الدخان " ، راجع " الجامع " ١، ١٥٢ و ١٥٣ ؛ ١٢، ٥ الخ ... " الكشاف " ٤، ١٨٩ . - ولقد سبق وقابلنا " دخان " و " دخان الماء " في رواية محمد بن اسحق ، راجع اعلاه ص ٤٦ .

الماء "[١٠٣] في روايات اخرى . ويتكلم الثعلبي على " زَبَد ٍ ودخان وبخار "[١٠٤]
مما يذكرنا بآية من رواية الخلق الثانية في سفر التكوين : وكان يَصْعَدُ منها
(= الأرض) بخارٌ فيسقي جميعَ وجهها[١٠٥] . ولفظة " دخان " مذكورة في
القرآن مرتين[١٠٦] . أما " بخار" فليست من الألفاظ القرآنية . فيمكننا اذن
ان نستنتج ، نقديا ادبيا ، أنّ استعمال لفظ ِ " بخار ٍ " يرجع ُ الى اصل ٍ اقربَ

---

(١٠٣) " دخان الماء " : " الجامع " ١، ١٥١ .

(١٠٤) يتكلم الثعلبي ايضا على " البخار " و " الزَبَد " : " ثم نظر (الله) الى الماء فغلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار ... " ؛ راجع " قصص الانبياء " ٤ .

(١٠٥) تكوين ٢، ٦ .

(١٠٦) " ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا " (٤١) فصلت ١١ ؛ " فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ " (٤٤) الدخان ١٠ .

الى نص التوراة منه الى " دخان " الكتاب ٠

وثمة رواية في ترتيب خلق السموات والأرض ودحيهما ينقلها الطبري عن ابن عباس تُقْرِبُ مما يذكره أَحَدُ رواةِ التلمود ٠

" حدثنا المثنى قال حدثنا ابو صالح قال حدثني معاويةُ بنُ صالح عن علي بن ابي طلْحة عن ابن عباس في قوله حيث ذكر خَلْقَ الأرضِ قبل السماء ثم ذكر السماءَ قبل الأرضِ وذلك ان الله خلق الأرضَ بأقواتها من غيرِ ان يدحُوَها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبْعَ سموات ثم دحا الأرضَ بعد ذلك فذلك قوله والأرضَ بعد ذلك دحاها ." (١٠٧)

---

(١٠٧) " الجامع " ١٥٣،١ ٠- راجع ايضا " الكشاف " ١٨٩،٤ ، في تفسير (٤١) فصلت ١١ : * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * ، حيث يقول : " لِمَ ذَكَرَ الأرضَ مع السماء وانتظمها في الأمر بالاتيان ، والأرضُ مخلوقةٌ قبل السماء بيومين ؟ قلت : قد خَلَقَ جُرْمَ الأرض اولا غيرَ مَدْحُوَّةٍ ، ثم دحاها بعد خلق السماء ، كما قال تعالى * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَٰهَآ * " (٧٩) النازعات ٣٠ ٠

أما رواية التلمود البابلي فتقول :

" أجاب ريش لاقيش : عندما خُلِقَتْ (السماء والأرض) ،
خلق اللهُ السماءَ (أولا) ، ومن ثم خلقَ الأرضَ ؛
ولكن عندما دحاهما ، دحى الأرض (اولا) . "(١٠٨)

ويَروي الثعلبي ان " أول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكةُ ،
فدحا اللهُ الأرضَ من تحتها ، فلذلك سُمِّيَتْ أُمَّ القُرى ، يعني أُصلَها ... "(١٠٩)
ونقرأ في التلمود البابلي ما يلي : " لقد عُلِّمْنا حَسَبَ النظرةِ القائلة أَنَّ
العالم قد بُدئ به (خُلق) من صِهيُون . اذ قد عُلِّمْنا : قال ربّي العازر :

---

(١٠٨) "Resh Lakish answered : When they were created, He created heaven (first), and afterwards He created the earth; but when He streched them forth He stretched forth the earth (first)."

راجع 66 Hagigah, TB . _ ان الفعل في اللغة العبرية الذي يعني " دحى " هو רָקַע . A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament.

(١٠٩) " قصص الانبياء " ٤ .

خُلِقَ العالمُ ابتداءً من مركزه (...) وقال ربي اسحٰق الحداد : رمى الواحدُ القدوسُ ، فليكن اَسمُهُ مباركا ، حجرا في المحيطِ ، ومنه أَسَّسَ العالـمَ (...) أما الحكماءُ فقالوا : خُلِقَ العالمُ ابتداءً من صِهيُون (...) إن جمالَ العالَمِ قد أُكمِلَ اَبتداءً من صِهيون (...) كلاهما (= السمٰوات والأرض) خُلقا اَبتداءً من صِهيون ... " . (١١٠)

وثمة تعبير غريب : " مسـيرة خمسـمائة عام " ، كثـيرا ما نجـده في قصص الثعلبي .

" روى عبد الله بنُ عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : بين كل ارض الى التي تليها مسـيرةُ خمسـمائة عام ... " (١١١)

---

(١١٠) "We were taught in accord with the view that the world was started (created) from Zion on. For it was taught : R. Eliezer says : The world was created from its centre (...) R. Isaac the Smith said : The Holy one, blessed be He, cast a stone into the ocean, from which the world then was founded (...) But the Sages said : The world was (started) created from Zion (...) from Zion was the beauty of the world perfected (...). Both were created from Zion." TB, Yoma 257-258.

(١١١) " قصص الانبياء " ٦ .

وأيضـا :

" خلق الله عز وجل سماءَ الدنيا وزينَها ، وهي ماء ودخان ، وغِلَظُها مسيرةُ خمسِ مِئةِ عامٍ وبينها وبين الأرضِ مسـيرةُ خمسِ مِئةِ عامٍ (...) وبينها وبين السماء الثانية مسـيرةُ خمسِ مِئةِ عـامٍ (...) وخَلَقَ السماءَ الثانيةَ على لونِ النُّحـاس ، وغِلَظُها مسـيرةُ خمسمِائةِ عامٍ ، وبينها وبين السـماء الثالثة مسيرةُ خمسمِائةِ عامٍ (... ومن السماء الثانية) الى السماء الثالثة مسيرةُ خمسِ مِئةِ عامٍ ، ولون السماء الثالثة كلـون الشَّـبَّةِ ، وغِلَظُها مسيرةُ خمسِ مِئةِ عامٍ (...) وبينها وبين السماء الثالثة مسيرةُ خمسِ مِئةِ عامٍ ، وغِلَظُها خمسمِائةِ عـامٍ (...) السماء الخامسة وغِلَظُها مسيرةُ خمسِ مِئةِ عامٍ (...) ومنها الى السماء السادسة مسيرةُ خمسِ مِئةِ عـامٍ (...) ومنها الى السماء السابعة مسيرةُ خمسِ مِئةِ عـامٍ (...) ثم خلق الله السماءَ السابعةَ غِلَظُها مسيرةُ خمسِ مِئةِ عـامٍ (...) ومن السماء السابعة الى مكان ما يقال له مرهوثا مسيرةُ خمسِ مِئةِ عـامٍ ... " (١١٢)

---

(١١٢) المرجع نفسـه ١٣ـ١٤ .

وفي مكان آخـر :

" وعن أبي هُرَيْرَة رضي اللهُ عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يتفكرون فقـال : فيم انتم تتفكرون ؟ فقالوا : نتفكر في الخالق ، فقال لهم : تفكروا في الخَلْق ولا تتفكروا في الخالق فأنه لا تحيط به الفكرة ، تفكروا في أن الله خلق السـمٰوات سبْعا والأرَضـين سبْعا ، وتحت كلّ أرض خمسُ مئـة عـام ، وبين السماء والأرض خمسُ مئة عام وتحت كـل سـماءٍ خمسُ مئة عام ، وما بين كُلّ سماءَيْن خمسُ مئـة عـام ، وفي السماء السابعة بحرٌ عُمْقُهُ مِثْلُ ذلك كلّـه وفيه مَلَكٌ قائمٌ لا يجاوزُ الماءُ كعبَهُ " . (١١٣)

ونقرأ في التلمود البابلـي كذلك : " من الأرض الى السـماء مسـيرةُ خمسـمائة عـام ، وغِلاظـةُ السـماء مسـيرةُ خمسـمائة عـام ، وبـين

١

---

(١١٣) المرجع نفسـه ١٢ .

السـماء الأولى والسـماء التالية مسـيرةُ خمسـمائةِ عامٍ ، وكذلك بين سـماء وسـماء ... ‎. (١١٤)

---

(١١٤) "Now from earth to heaven is a five hundred years' journey, the thickness of heaven is a five hundred years' journey, and between the first heaven and the next lies a five hundred years' journey, and similarly between each heaven..." Pesaḥim 505.

أما في التلمود الأورشليمي فنجد ان غِلاظة السماء الواحدة هي مسيرة خمسين سنة :

"L'avis (précité) de R. Ḥamina est conforme à celui de R. Juda; car on a enseigné, au nom de ce dernier, que, pour traverser l'épaisseur du firmament, il faudrait faire un chemin de 50 ans". TJ I, 6.

كذلك غِلاظة الأرض هي مسـيرة خمسين سـنةً :

"De même que l'épaisseur du firmament est un chemin de cinquante ans, de même celle de la terre, avec toute la profondeur de l'abîme est un chemin de cinquante ans". TJ I, 6-7.

غير اننا نجد سيرة الخمسمائةِ عامٍ في رواية اخرى من التلمود الأورشـليمي :

"De même qu'il y a entre le ciel et la terre un intervalle de cinq cents ans de marche, de même il y en a autant entre un ciel et l'autre, et son épaisseur en est l'équivalent". TJ I, 7.

وأرى من المناسِب في هذا الفصل ان أُتابعَ البحث حول " عرش الله "[١١٥] كما يُروَى عنه في كتب التفسير وكما يَردُ في الكتاب المقدّس والتلمود . اذ تقوم صورة عرش الله او عرش المجد[١١٦] بدور هام في الوحي الألهي[١١٧] . فعرش المجد ، حَسَبَ التلمود البابلي ،

---

(١١٥) الآيات القرآنية في * العرش * كثيرة : (٧) الاعراف ٥٤ ، (٩) التوبة ١٢٩، (١٠) يونس ٣ ، (١٣) الرعد ٢ ،(١٧) الاسراء ٤٢ ، (٢٠) طه ٥ ، (٢١) الانبياء ٢٢ ، (٢٣) المؤمنون ٨٦ و ١١٦ ، (٢٥) الفرقان ٥٩ ، (٢٧) النمل ٢٣ و ٢٦ ، (٣٢) السجدة ٤ ، (٣٩) الزمر ٧٠ ، (٤٠) غافر ٧ و ١٥ ، (٤٣) الزخرف ٨٢ ،(٥٧) الحديد ٤ ، (٦٩) الحاقة ١٧ ، (٨١) التكوير ٢٠ ، (٨٥) البروج ١٥ ، (١١) هود ٧ .

(١١٦) " عرش المجد " = " The Throne of Glory " . راجع فيه التلمود البابلي : Shab. 422, 779 f , Pes. 265, Ned. 124 f , Men. 263, Hul. 497, 510, 512.
غير انني لم اجد اثرا له في التلمود الاورشليمي .

(١١٧) المراجع حول " العرش " في الكتاب المقدس كثيرة ايضا ، اكثر منها في القرآن : مزمور ٨٩ (٨٨) ، ٣٨ ؛ امثال ٢٠،٢٨ ؛ ٢٥ ، ٥ ؛ ٢٩، ١٤ ؛ سيراخ ٢٤،٧ ؛ متّى ٥، ٣٤ ؛ الى العبرانيين ١، ٨ ؛ رؤيا ٥ ، ١١ ؛ ٧ ، ١١ ؛ ٢ ملوك ٧ ، ١٣ ؛ مزمور ٩-١٠ ، ٥ و ٨ ، ٨٩ (٨٨) ، ٣٠ ؛ الى العبرانيين ٤، ١٦ ؛ رؤيا ٤، ٥ ؛ ٧، ١٠ و١٥ ؛ ١٤، ٣ ؛ دانيال ٣، ٥٤ ؛ متّى ٢٣، ٢٢ ؛ رؤيا ٣، ٢١ ؛ ٤، ٥ ؛ ٥، ١٣ ؛ ١٩، ٥ ؛ ٢١، ٥ ؛ لوقا ٢٢، ٣٠ ؛ رؤيا ٤، ٤ ؛ كولوسي ١، ١٦ ؛ رؤيا ٨، ٣.

من الأشـياء السبْعة (١١٨) التي خلقت قبل خلق العالم • ويُجْمعُ على هذا الرأي ذاتِه عددٌ كبيرٌ من الرُّواة الذين ينقل عنهم الطبري (١١٩) •

---

(١١٨) "Seven things were created before the world, viz., The Torah, repentance, the Garden of Eden, Gehenna, the Throne of Glory, the Temple, and the name of the Messiah". Nedarim 124.

ولربما وجدنا لهذه الاشياء السبعة صدى في " الاشياء العشرة " التي زين الله بها السموات ، حسب الثعلبي : ١• الشمس ، ٢• القمر ، ٣• الكواكـب ، ٤• العرش ، ٥• الكرسـي ، ٦• اللوح ، ٧• القلم ، ٨• البيت المغمور ، ٩• سِدرة المنتهى ، ١٠• الجنة • راجع " قصص الانبياء " ١٥–١٧ •

(١١٩) الضـحاك : " وكان عرشه على الماء يقول وكان عرشه على الماء قبل ان يخلق السمٰوات والأرضَ وما فيهـن " • " الجامع " ١٢، ٤ •

مجاهـد : " وكان عرشـه على الماء قبل ان يخلق شـيئا " • المرجع نفسـه •

قتـادة : " وكان عرشه على الماء ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل ان يخلق السمٰوات والأرض " • المرجع نفسـه •
" وكان عرشه على الماء قال هذا بدءُ خلقه قبل ان يخلـق السماء والأرض " • المرجع نفسـه •

عن رسول الله : " اين كان ربنا قبل ان يخلق السمٰوات والأرض قال (رسول الله) في عَماءٍ مافوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء " • المرجع نفسـه •

ابن عبـاس : " وكان عرشه على الماء قال على أيّ شيء كان الماء قال علـى مَتْن الريح " • المرجع نفسـه •

ضـمرة : " ان الله كان عرشه على الماء وخلق السمٰوات والأرض بالحـق وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سَبَّحَ الله ومجدَهُ أَلْفَ عام قبل ان يخلق شـيئا من الخلق " • المرجع نفسه ١٢، ٤–٥ •

وهب بن منبـه : " ان العرش كان قبل ان يخلق اللهُ السمٰواتِ والأرضَ ثم قَبَضَ قَبْضَةً من صَفاء الماء ثم فتح القَبْضَة فارتفع دخانٌ ثم قضـاهن سبع سمٰوات في يومين ثم اخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الأرضَ منها ثم خلق الاقوات في يومين والسمـاوات في يومين ثم فَرَغَ من آخر الخلق يوم السابع " • المرجع نفسه ١٢، ٥ •

ويُشَبِّهُ التلمود ان " عرشَ المجدِ " بالياقوت الأزرق او حَجَرِ اللازَوَرْدِ (١٢٠) ،

---

(١٢٠) "R. Heir says, Why is blue singled out from all the varieties of colours ? Because blue resembles the colour of the sea, and the sea resembles the colour of the sky, and the sky resembles the colour of a sapphire, and a sapphire resembles the colour of the Throne of Glory..." Hullin 497.

راجع الرواية ذاتها في Menahoth 263 .

ونجد في التلمود الأورشليمي الرواية التالية نقلا عن ربي ميير ايضا :

"Or, le bleu-ciel ressemble à la mer, celle-ci aux herbes, ces dernières au ciel, lequel a la ressemblance du saphir, que l'on compare au trône de gloire".
T J Traité des Berakahoth I, 13-14.

"أما اللون الأزرق السماوي فيشبه البحر ، والبحر يشبه الأعشاب ، والأعشاب تشبه السماء ، والسماء تشبه الياقوت (او اللازَوَرْد) ، ونشبه الياقوت بعرش المجد " .

وكلا الروايتين ترجعان الى سفر حزقيال النبي ١، ٢٦ : وفوق الجَلَد الذي على أرؤسِها شِبْهُ عرشٍ كمرأى حجرِ اللازَوَرْدِ وعلى شِبْهِ العرشِ شِبْهٌ كمرأى بشرٍ عليه من فوقُ . "

تشـبها بلون السماء . بينما يبدو ان الثعلبي يمسح على السماء لونا أخضر عندما يقول : " وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضـراء ، خضرة السـماء منه"[١٢١]؛ كما أنه يكثر من اللجوء الى الحجارة الكريمة ، " الدر والجوهر " [١٢٢] ، في ذكره بعض تفاصيل خلق السموات والأرض ، بما فيه العرش [١٢٣] ، فيتكلم تارة على ياقوتة خضـراء يحدرها الله من أعلى درجات الفردوس [١٢٤] ، وتارة على ياقوتة بيضاء هي ، على ما يظهر ، السماء السابعة[١٢٥] ، وطورا على ياقوتة حمراء هي بمثابة دفتي لوح محفوظ من درة بيضـاء [١٢٦] . غير أنني لم اعثر على ياقوتة زرقاء في كتب التفســـير حول وصف العرش .

---

(١٢١) " قصص الانبيـاء " ٥ .

(١٢٢) المرجع نفســه ٢٣ .

(١٢٣) يأتي الثعلبي مرارا في وصفه خلق السموات والأرض على ذكر العرش : راجع الصفحات ٤، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ .

(١٢٤) المرجـع نفســه ٤ .

(١٢٥) المرجع نفسه ١٢ .

(١٢٦) المرجع نفسه ١٦ .

وقلما يلجأ التلمودُ في رواياتِه الى الصـور الحيوانية في وصــف بعض التخيلاتِ حول الوحي الالهـي ، بينما نلقى رُواةَ كتب التفسـير يُكثِرون من اللجوء الى هذا النوع من الخيال . غير ان مفهومَ العرشِ يمدُّنا بفرصـة للمقارنة بين وصـفين يَتَّكِئان على الصور الحيوانية ، الواحدُ يهوديٌّ والثانـي اسـلاميٌّ ، لربما اسـتمدا الهامَهُما من تراث شـرقي ثالث أقدمَ ، ما فتئت تعبر عنه آثارُ النحت الحثي والآشـوري التي تصور ، مثلا ، أسـدا ذا رأسـين ، الواحدُ حيواني والآخَرُ إنساني (١٢٧).

---

(١٢٧) راجع : L.H. GROLLENBERG, O.P., Bildatlas zur Bibel, Carl Bertelsmann Verlag, Güttersloh, 1957; S. 36, B.III.

~~هوامش بقلم المترجم تفسر النص~~

" ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكـا فهبط الى الأرض ، حتى دخل تحت الأرَضين السبْع ، فوضعها على عاتقه ، إحدى يديه في المشرق والأخرى في المغرب ، باسطتَيْن قابضتَيْن على قرار الأرَضين السبْع حتى ضبَطَها ، فلم يكن لقدمَيْه موضعُ قَرار ، فأهبط اللهُ تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون الف قرنٍ واربعون الف قائمةٍ ، وجعل قرارَ قدمي الملكِ على سَنامه ، فلم تستقرّ قدَماهُ ، فأحدر الله ياقوتةً خضراءَ من اعلى درجةٍ من الفردوس ، غِلَظُها مسيرةُ خمس مائةِ عامٍ ، فوضعها بين سَنام الثور الى أذُنِه ، فاستقرت عليها قدماه ، وقرونُ ذلك الثورِ خارجةٌ من أقطار الأرض وهي كالحسكة تحت العرش ، ومِنْخَرُ

"It is taught : R. Joḥanan b. Zakkai said : What answer did the Bath Ḳol[1] give to that wicked one[2], when he said : I will ascend above the heights of the clouds ; I will be like the Most High ?[3] A Bath Ḳol went forth and said to him : O wicked man, son of a wicked man, grandson[4] of a Nimrod, the wicked, who stirred the whole world to rebellion against Me[5] by his rule.

---

(1) Bath Ḳol "Lit., 'daughter of a voice'. According to Lampronti, Levy, Kohut (Aruch Completum) and Jast. (= M. Jastrow's Dictionary of the Targumim, the Talmud Babli & Yerushalmi and the Midrashic Literature), it means, an echo'; but L. Blau holds (J[ewish]. E[ncyclopedia].vol.II, pp. 588f) that it means 'sound', 'resonance'. For its secular use, v. Ex. Rab. XXIX, end; but in our passage and Rabbinic Literature passim, it refers to a heavenly or divine voice". Ḥag. 73, n. (12).

(2) "I.e. Nebuchadnezzar, who, in R. Joḥanan b. Zakkai's time, possibly suggested Titus". Ibid., n.(13).

(3) "Isa. XIV, 14." Ibid. 74, n. (1).

(4) "As Tosaf. a.l. (= Tosafoth ad loc = at that place(?)] points out, this statement is not to be taken literally; Nebuchadnezzar is to be regarded as a spiritual descendant of Nimrod because of the similarity of their deeds (the latter persecuted Abraham - cf. Targ. pseudo-Jonathan to Gen. XIV, I; Genesis Rabbah XLII, 5; Cant. R. VIII, 8- and the former led into captivity Abraham's descendants) and of their place of origin (Babylon)." Ibid., n.(2).

(5) "Lit., 'against himself', an obvious emendation, dictated by a pious desire to avoid blasphemy, of 'against Me', i.e., God. In 'Er. 53a the text has been 'corrected' as here; but in Pes. 94b, Gen. R. s. 26 etc., the original reading is preserved." Ibid., n.(3).

ذلك الثور في البحر ، فهو يتنفس كلَّ يومٍ نَفَسًا ، فاذا تنفس مَدَّ البحرُ ، واذا ردّ نَفَسه جَزَرَ ، ولم يكن لقوائم الثور موضعُ قرارٍ ، فخلق اللهُ تعالى صخرةً خضراءَ ، غِلَظُها كغِلَظِ سبعِ سمواتٍ وسبعِ أَرَضين ، فاستقرّتْ قوائمُ الثورِ عليها ... "

" قصص الأنبياء " ٤ .

How many are the years of man ? Seventy, for it is said : <u>The days of our years are threescore years and ten, or even by reason of strength fourscore years</u>[6]. But the distance from earth to the firmament is a journey of five hundred years, and the thickness of the firmament is a journey of five hundred years, and likewise (the distance) between one firmament and the other[7]. Above them[8] are the holy living creatures : the feet[9] of the living creatures are equal to all of them (together)[10]; the ankles of the living creatures are equal to all of them; the legs of the living creatures are equal to all of them; ~~the legs of the living creatures are equal to all of them;~~ the knees[11] of the living creatures are equal to all of them; the thighs of the living creatures are equal to all of them; the bodies of the living creatures are equal to all of them; the necks of the living creatures are equal to all of them; ~~the necks of the living creatures are equal to all of them;~~ the heads of the living creatures are equal to all of them; the horns of the living creatures are equal to all of them. Above them is the throne of glory; the feet of the throne of glory are equal to all of them; the throne of glory is equal to all of them. The King, the Living and Eternal God, High and Exalted,

---

(6) "Ps. XC, 10". <u>Ibid.</u>, n. (4).
(7) "V. p.69". <u>Ibid.</u>, n. (5).
(8) "I.e., the seven heavens; v.n. 5". <u>Ibid.</u>, n. (6).
(9) "I.e., the thickness of the hooves". <u>Ibid.</u>, n. (7).
(10) "I.e., 15 (7 heavens and 8 interspaces) x 500 years. But in J[erushalmi]. Ber[akoth]. 13a the figure is given as 515, the numerical sum of ישרה , 'upright'; cf. Ezek. I, 7 (Tosaf.).
(11) "Properly, the knee and its surroundings parts; cf. <u>Hul.</u> 76a.

dwelleth above them. Yet thou didst say, _I will ascend above the heights of the clouds, I will be like the Most High ! Nay[12], thou shalt be brought down to the nether-world, to the uttermost parts of the pit"._[13] _Ḥagigah_ 73-75.

---

(12) "E[nglish]. V[ersions] of the Bible]. 'Yet' etc." _Ḥagigah_ 75, n. (1).

(13) "Isa. XIV, 14 f." _Ibid._, n. (2).

والعرش محاطًا بالملائكة يقدّم لنا فرصةً أخرى لمقابلة كتب التفسير ، هذه المرة ، بنص الكتاب المقدّس . وثمّةَ مقطعان من العهد العتيق : أشعيا ٦، ١-٤ ، وحزقيال ١، ١-٢٨ لا شك عندي أن رُواةَ الثعلبي والزمخشري قد اطلعوا عليهما بصورة من الصور غير مباشرة على الأرجح .

" وفيها (= السماء الثالثة) ملائكةٌ ذَوُو أَجْنِحَةٍ ، الملَكُ منهم له جَناحان وله أربعةُ اجنحــةٍ وله ســتةُ اجنحةٍ ووجــوهٌ شــتّى رافعــون اصــواتَهُم بالتســبيح يقولون : سبحان الحيِّ الذي لا يموت أبــدا (...) وهم يقولون : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، ربُنا الرحمنُ الذي لا اله الا هو (...) وفيها جندُ اللهِ الأعظمِ الكَروبيون لا يُحصي عددَهم الا اللهُ تعالى (...) رافعون اصواتَهَم بالتهليل والتسبيح (...) ومن السماء السابعة الى مكان يُقال له مرهوثا مســيرةُ خمسِ مئةِ عــامٍ ، وعليــه جنودُ الله من الملائكــة ، وهم رؤساءُ الملائكةِ وهم أَعْظَمُهُم ، سِوى الروحِ وحَمَلَةِ العرش ، الملَك منهــم له وجوهٌ شــتّى واجنحةٌ شــتّى وانوارٌ شــتّى في جســده ، لا يُشَــــــبه بعضُــهُم بعضــا ، رافعون اصــواتَهم بالتهليل ، ينظرون الى العرش لا يَطْرِفون (...) ومن فوق ذلك غَمامــةٌ غِلَظُها كغِلَظِ سَــبْعِ ســمٰواتٍ وســبْعِ أَرَضــين (...) والعرشُ فوقَ ذلك في عِلِيِّــين ...

" قصــص الأنبيــاء " ١٣-١٤ .

في السـنة التي مات فيها الملك عُزِّيّـا رأيتُ السـيدَ

جالســا على عرشٍ عالٍ رفيعٍ وأذيالُـه تملأُ الهيكل . من فوقـه السَّـرافون

قائمون سِـتَّةُ أَجنحةٍ سـتَّةُ اجنحة لكل واحدٍ باثنـين يسـتُرُ وجهَـهُ

وباثنـين يسـتر رِجليـه وباثنـين يطـيرُ . وكان هذا ينادي ذاك ويقـول

قدوس قدوس قدوس ربُّ الجُنود الأرضُ كلُّهـا مملـوءةٌ من مجـده ...

نبـوءة أشـعيا ٦ ، ١-٣ .

(...) " والعرشُ فوق رؤوسِهِم ، وهم مُطْرِقون مُسَبِّحون . وقيل : بعضُهُم على صورة الانسان ، وبعضُهُم على صورة الأسد ، وبعضُهُم على صورة الثور ، وبعضهم على صورة النَّسْر ... "

" الكشاف " ٤ ، ٦٠٢ .

أما شِبْهُ أَوجُهِها فلِأَرْبَعَتِها وجهُ بشـرٍ عن اليمين ووجهُ اسـدٍ ولأربعتها وجهُ ثورٍ عن الشَّمال ولأربعتها وجه نَسْر (...) وفوق الجَلَدِ الذي على أروُسـها شِبْهُ عرشٍ ...

نبوءة حزقيـال ١٠،١ و ٢٦ .

ولكل واحدٍ أربعةُ أَوجُهٍ الوجهُ الأَوَّلُ وَجْهُ الكَروبِ والوجهُ الثانـي وجهُ بشـرٍ والثالث وجه أسـدٍ والرابع وجه نَسْـر ... (١٢٨)

المرجع نفسـه ١٠، ١٤ .

---

(١٢٨) راجع ايضا رؤيا يوحنا ٤،٥-١١ :

ويخرج من العرش بَرْقٌ واصواتٌ ورعدٌ وتَتَّقِدُ قدامه سبعةُ مصـابيحَ من نار هي ارواحُ الله السبعةُ . ويُخَيَّلُ أنَّ تِلْقاءَ العرشِ بحرًا شفافا مثلَ البِلَّور . وفي وَسَطِ العرش وحوله أربعةُ حيواناتٍ رُصِّعَتْ بالعيون من قدامٍ ومن خلفٍ . فالحيوان الأول يُشبه الأسـدَ والحيوانُ الثاني يشبه العِجْلَ والحيوانُ الثالث له وجهٌ كوجهِ الانسانِ والحيـوانُ الرابعُ يُشبه النَّسْرَ الطائر . ولكل من الحيوانات الاربعةِ ستةُ اجنحةٍ رُصِّعَت بالعيون من حولِها ومن داخلِها وهي لا تَنْفَكُّ تقول لَيْلَ نهارٍ :

" قدوس قدوس قدوس
الربُّ الالهُ المهيمنُ العزيزُ
كان وكائـن ويأتـي . "

وكلما قدَّمَ الحيواناتُ التمجيدَ والاكرامَ والحمدَ للذي يستوي على العرش ويحيا أبَدَ الدهور ، يجثو الأربعةُ والعشرونَ شيخا للذي يسـتوي على العرش ، ويسجدونَ للذي يحيا أبد الدهور ويقولون وهم يُلقون اكاليلَهم عند العرش : " لكَ يحُقُ يا ربَّنا والهَنا ان تَلقى المجدَ والاكـرامَ والقُدرةَ لأنكَ خلقت الأشـياء كلَّها وبمشيئتكَ خُلِقَتْ وكان لها الوجود . "

ونلقى عند الثعلبي في فصله حول خلق الأرض تحديدا للنون الذي يأتي على ذكره القرآن [١٢٩] ، اذ يقول جامعُ " قصص الأنبياء ... " فيه ما يلي : " وهو الحوت العظيم ، اسمه لوتيا وكنيتُهُ بلهوت ولقبُه بهموت " [١٣٠] . وأرجح أنَّ لوتيا إنما تعريب לִוְיָתָן أيّ لوياثان [١٣١] ،

---

(١٢٩) حسب تأويل الثعلبي حيثما يقول : " هذا الحوت الذي اقسم الله تعالى به فقال * نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * " (٦٨) القلم ١. راجع " قصص الأنبياء " ٥ .

(١٣٠) " قصص الأنبياء " ٤ .

(١٣١) לִוְיָתָן = لوياثان (في الترجمة العربية للكتاب المقدس) هو اسمُ جنس اكثر منه اسمُ علم ، ويعني أصلا حيّة" (راجع La Sainte Bible polyglotte ... III, 815, n.20)
غير انه يعني ايضا في الكتاب المقدس التِمساح . راجع وصفَهُ الشهيرَ في سِفْرِ أيوب ٤٠، ٢٠-٤١ ، حيث يُطَبّقُ على التِمساح ؛ كذلك حزقيال ٢٩، ٣ وتوابعها و٣٢، ٢ وتوابعها . اما في أشعيا ٢٧، ١ فاللفظة مستعمَلةٌ بمعنى الثُعبانِ الضخم .

اما بهموت فهو ولا شـك בְּהֵמוֹת أي بهيموت[١٣٢] ؛ ولربمـــا أَتَتْ لفظـةُ " بلهوت " " الكنيةُ " تحريفا لـ " بهموت " [١٣٣] . ويصف لنـا ناظم سـفر ايوب لوياثان - التمساحَ / وبهيموت - فرسَ البحر وصفا شـــعريا رائعـا [١٣٤] .

---

(١٣٢) בְּהֵמוֹת = بهيموت (في الترجمة العربية للكتـاب المقدس) : جمع בְּהֵמָה أيّ حرفيا " بهيمة " . ويدل استعمالُ صيغـةِ الجمعِ هنا على الامتياز . واللفظة ذاتها בְּהֵמוֹת عبريةُ الأصـل ؛ غير انه توجد لفظةٌ مشابهةٌ لها في اللغة المصرية الهيروغليفيـة : پهاموت المؤلفة من پ = ال التعريف ، واها = بقرة ، وموت = ماء ، اى فرس الماء او البحر ؛ " سيد قشطة " في اللغة المصرية العاميـة حاليا . (راجع La Sainte Bible polyglotte... n.10, 813,)

(١٣٣) فيأتي اذا توحيد الحيوانـين لوياثان وبهيموت من مخيلة المؤلف ، كما ان التميـيز بين الاسمِ والكنيةِ واللقبِ من تصرف الراوي او الكاتب .

(١٣٤) راجع سفر ايوب : وصف بهيموت ولوياثان ، في الفصـلين ٤٠ و٤١ . - والمراجع حول هذين الحيوانين في التلمود البابلي كثـيرة :

Leviathan : Shab. 366, Mḳ. 160, BB.294 ff, 300, AZ. 9, Ḥul. 364.

Behemoth : BB 296 ff.

ونقف عند جامع " قصص الانبياء " ايضا على مجلس طويل " في ذكرِ خَلْقِ الشـمسِ والقمرِ وصـفةِ سَـيْرِهِما وبدءِ أَمْرِهما ومَعادِهِمـا " [١٣٥] أتيت على التلميـح اليـه مفتتحـا [١٣٦] هذه الدراسـةَ في اليهوديات أو الاسـرائيليات . ومـع ان المراجـع حول الشـمس والقمـر في التلموديـنِ ، لا سـيّما في البابلـي منهما ،

---

(١٣٥) " قصص الانبيـاء " ١٨ .

(١٣٦) راجع المقدمة ، ص ٤-٧ .

كثـيرةٌ جدا [١٣٧] ، لم احظ بأية إزائيـةٍ تسـتحقّ النَّقْلَ ، سِوى تصغيرِ القمر ،

---

(١٣٧) ان المراجع في " الشمس والقمر " كثيرة جدا في القرآن وفي التلمود .

في القرآن : (٢) البقرة ٢٥٨ ،(٦) الأنعام ٧٨ ، ٩٦ ، (٧) الاعراف ٥٤ ، (١٠) يونس ٥ ، (١٢) يوسف ٤ ، (١٣) الرعـد ٢ ، (١٤) ابراهيم ٣٣ ،(١٦) النحل ١٢ ، (١٧) الاسراء ٧٨ ، (١٨) الكهف ١٧، ٨٦ ، ٩٠ ، (٢٠) طه ١٣٠ ، (٢١) الأنبيـاء ٣٣ ، (٢٢) الحج ١٨ ، (٢٥) الفرقان ٤٥ ،(٢٧) النمل ٢٤ ، (٢٩) العنكبوت ٦١ ، (٣٥) فاطر ١٣ ، (٣١) لقمان ٢٩ ، (٣٦) يس ٤٠ ، (٣٩) الزمره ، (٤١) فصلت ٣٧ ، (٥٠) ق ٣٩ ، (٥٥) الرحمٰن ٥ ، (٧١) نوح ١٦ ، (٧٥) القيامة ٩ ، (٨١) التكوير ١ ، (٩١) الشمس ١، (٧٦) الانسان ١٣ ، (٦) الانعام ٧٧ ، (٣٦) يس ٣٩ ،(٥٤) القمر ١ ، (٣٤) المدثر ٣٢ ،(٧٥) القيامة ٨ ،(٨٤) الانشـقاق ١٨ ، (٢٥) الفرقان ٦١ .

في التلمود الأورشليمي : Soleil : sa rotation I, 4; IV, 248; il semble sortir du firmament, I, 7, et n. ; coucher et lever, 5; d'après sa marche on règle les prières du soir et du matin, 75; il est chaud à la quatrième heure (10h.) 73.

Lune : sa rotation I, 4. Cf. aussi Néoménie, Phase, Vision.

مع العلم أنَّ وجهَ التقارب بين الروايتين هو مجردُ فكرةِ تصغير القمر ليس غيرُ والغايةُ منه .

(١٣٧) تابــع

Sun : 'ER. 392 ff, Pes. 2, 32, 121, : في التلمود البابلي
160, 197, RH. 102, 107, 109, 146, BB. 124, 332,
San. 250, 491, 520, 599, 744, AZ.8, 11, 87, 163,
181, 192, 211, Ab. 62.
- and moon, Ned. 125.
- as factor in cleaning, Pes. 481 f., 484.
- breaking through of, Ta'. 98.
- decline of, Pes. 288, 346.
- dial, 'Ed. 20, Kel. 62f.
- god, AZ. 202.
- made to stand still, AZ. 124 ff.
- motions of, Ber. 369 f., Pes. 504 ff.
- movements explained, BB. 126, 302, 342 f.
- revolutions of, Yom. 90.
- setting of, 361, Bez. 95f., Ta'.9, 134, 141, Yeb. 502 f., 506, 625, BB 342 f., San. 256, AZ317.
- worship, San. 719, AZ.16, 279.

Moon : 'ER. 394, 453, Pes. 32, 571 f., Yom. 135, RH. 107, BB. 124, 294, 302, San. 231, 247, AZ. 87, 211f., 214 f., 279, Ḥul. 331.
- diagrams of shapes of, RH. 105ff.
- enigmas in regard to birth of, RH. 85.
- hiding of, RH.30, 169.
- reduction of size of, Sheb. 33.
- Time of renewal of, RH. 110.

~~TB, Ḥul. 331. Cf. also Sheb. 33.~~

" قال (ابن عباس) ألا أُحَدِثُكُم بما سمِعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبدءِ خَلْقِهما ومصيرِ أَمرِهما ؟ قلنا بلى يرحمك الله تعالى ، فقال " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عن ذلك ، فقال : ان الله تعالى لما أَتْقَنَ خلقَه إِحكامـا ولم يبق إلا آدمُ خلق شمسَيْنِ من نـــور عرشِــه ، فأما ما كان من سابق علم الله تعالى ان يَدَعَها شمسا ، فأنه خلقهــا مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها ؛ واما ما كان من سابق علم الله ان يُطْمُسَــها ويحوِّلَها قمرا ، فانه خلقها دون الشمس في العِظَمِ ، ولكن انما يُرى صِـــغَرُها من شدة ارتفاع السماء وبعدِها عن الأرض ، فلو ترك الله تعالى الشـــــمسَ كما كان في بدء الأمر لم يُعْرَفْ الليلُ من النهار ولا النهارُ من الليل ، ولا يَدْري الأجيرُ متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ، ولا يدري الصائم الى متى يصوم والى متى يفطِر ، ولا تدري المرأة كيف تَعْتَدُ ، ولا يدري المســلمون متى وقتُ صــلاتهم ومتى وقتُ حجِّهم ، ولا يدري المَدينونَ متى يَحِلُّ دَيْنُهم ، ~~ولا يدري المدينون متى يحل دينهم ،~~ ولا يدري الناسُ متى يزرعون ومتى يســكُنون راحــةً لأبدانهم . وكان الله أنظرَ لعباده وأرحمَ بهم ،فأرسل جبريلَ عليه الســـلامُ ، فأمرّ جَناحَه على وجه القمر ، وهو يومئذ مِثْلُ الشمس ثلاثَ مراتٍ فطمس عنه الضوءَ وبَقِيَ فيه النورُ ، فذلك قوله تعالى * وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين فمحونا آيــةَ الليلِ وجعلنا آيةَ النهارِ مبصــرةً * فالسواد الذي في جوف القمر مثلَ الخطوط فيه انما هو أَثَرُ المَحْوِ ... " (١٣٩)

---

(١٣٩) " قصص الأنبيــاء " ١٨ـ١٩ .

المقارنـة بين هذين النصـين تُبـيّن بوضـوح عنصـــرين
. والعنصـر الاول إنما في نُقْصـانِ القمر ، فكــرةٌ من
ة ، وفكـرةٌ وحدثًا معـًا من الناحيـة الاســـــلامية .
يقـوم حوارٌ بين اللـه والقمـر ، بل بالحريّ بين القمـــر
، كما يلـــي :

" فقال القمر لله : يا ربَّ العالمين ! هل يمكن تتويجُ ملكـين بتاجٍ واحـد ؟ فأجابـه اللـــه : إذهب اذا وانقص نفسَـك . فصـاح القمر : يا ربَّ العالمـين ! لمّا كنتُ قد افترحتُ ما هو صـــالح أَوَجَبَ عليّ ان أَنْقُصَ ؟ فأجـاب الله : اذهب ، انك ستحكمُ على النهـار والليل . فصـاح القمـر : وما قيمةُ هذا ؟ ما فائدةُ السِّـراجِ في أَوْجِ ضَـوْءِ النهـار ؟ اجاب الله : اذهب ، سَيَعُدُّ اسـرائيلُ بك الأيامَ والسِّـنينَ . فقال القمر : ولكـــنْ من المُحالِ ان تُعَدَّ الأوقاتُ دون الشمسِ ، اذ مكتوب : لتكن نيرات (... (أي الشـمس والقمـر) وتكون لآياتٍ واوقاتٍ وايامٍ وسِـنينَ (تكوين ١، ١٤) .

ان المقارنة بين هذين النصين تُبيّن بوضوح عنصرين مشتركَيْنِ بينهما . والعنصر الاول إنما في نُقْصانِ القمر ، فكرةٌ من الناحية اليهودية ، وفكرةٌ وحدثًا معًا من الناحية الاسلامية .

ففي رواية التلمود يقوم حوارٌ بين الله والقمر ، بل بالحريّ بين القمر والله ، اختصره كما يلي :

" فقال القمر لله : يا ربَّ العالمين ! هل يمكن تتويجُ ملكين بتاجٍ واحد ؟ فأجابه الله : إذهب اذا وانقص نفسَك . فصاح القمر : يا ربَّ العالمين ! لمّا كنتُ قد اقترحتُ ما هو صالح أوَجَبَ عليّ ان أنْقُصَ ؟ فأجاب الله : اذهب ، انك ستحكمُ على النهار والليل . فصاح القمر : وما قيمةُ هذا ؟ ما فائدةُ السِّراجِ في أوْجِ ضَوْءِ النهار ؟ اجاب الله : اذهب ، سَيَعُدُّ اسرائيلُ بك الأيامَ والسِّنينَ . فقال القمر : ولكنْ من المُحالِ ان تُعَدَّ الأوقاتُ دون الشمسِ ، اذ مكتوب : لتكن نيرات (... (أي الشمس والقمر) وتكون لآياتٍ واوقاتٍ وايامٍ وسنينَ (تكوين ١، ١٤) .

أما رواية ابن عباس فلا حوارَ فيها بين الخالق والمخلوق ، بالحري بين المخلوق والخالق ، بل مجردُ إثباتِ خلقِ " شمسينِ " ثم وصفٌ مفصل لعملية النُقْصانِ على جَناحِ جبريل .

أما العنصر الثاني فهو في غاية نُقصانِ القمر وتمييزِه عن الشمس . فرواية التلمود توحي أَنَّ غايةَ التمييز انما خدمةُ اسرائيلَ وحده حتى يتسنّى له وحده عَدُّ الأيام والسّنين . والفكرةُ ذاتُها تظهرُ في رواية ابن عباس وبإسهاب ، ولكنها لا تظهر لخدمة المسلمين بخاصة فحسب ، بل لمصلحة " الناس " بعامة أيضا .

" فلو تَرَكَ اللهُ تعالى الشمس كما كان في بدء الأمر لم يُعْرَفْ الليلُ من النهارِ ولا النهارُ من الليل ، ولا يدري الأجير متى يعمل ولا متى يأخذ أُجرتَه ، ولا يدري الصائمُ الى متى يصوم والى متى يُفْطِر ، ولا تدري المرأة كيف تَعْتَدُّ ، ولا يدري المسلمون متى وقتُ صلاتِهم ومتى وقتُ حجِّهم ، ولا يدري المَدينون متى يَحُلُّ دَيْنُهُم ، ولا يدري الناس متى يزرعون ومتى يسكُنون راحةً لأبدانهم " .

٢ - في الملائكـــة

ان الله خالقُ السمٰوات والأرض . وهو خالقُ الملائكة أيضا .
وتُسْهِبُ كتبُ التفسير ، في إثْر القرآن ، في شرح الكثير حول هذه
المخلوقاتِ الروحية . ومع أَنَّ التلمودَ هو كذلك ، في إثْر الكتاب المقدس ،
يأتي على ذكر الأرواحِ السماوية ، فالبحثُ الدقيقُ أَوْصلني الى الاستنتاج
عينِهِ الذي انتهيت اليه بشأن خلق السمٰوات والأرض : اذ ما قرأتُهُ عند
الطبري والثعلبي والزمخشري في هذا الموضوع لا يَمُتّ بصلة مباشَرةٍ الى
التراث التوراتي والتلمودي .

ولعلَّ مِمَّا يدْعَمُ هذا الاستنتاجَ تناقضٌ جوهريٌ في مفهومِ
الملائكة بين المفسرين من جهة وبعضِ رُواةِ التلمود من جهة أخرى .
فالزمخشري يروي حديثا مرفوعا الى النبي يقول : " وأَنَّى من الملائكة
الذين هُمْ أشرفُ جنس خلقَهُ اللهُ تعالى وافضلُهُ واقربُهُ منزلةً منه . أَيْ لم
أَدَّعِ إلٰهيّةً ولا مَلَكيَّةً ؛ لأن ليس بعد الالهيةِ منزلةٌ أَرفعُ من منْزِلةِ

الملائكة ، حتى تستبعدوا دَعْوايَ وتستنكرونَها ... " (١٤٠) بينما لا نجد في التلمود الأورشليمي الفكرةَ السائدةَ "بأَنَّ بعض ارواح الصالحين ستكون في الآخرة اقربَ الى الله من الملائكة " فحسب ، بل وايضا ان ربي لاوي بن حيوتة علق على هذا الاعتقادِ بقوله إِنه لا مجالَ للتعجب في هذا الأمر لأننا " نعرف في الحياة الدنيا احوالا مماثِلةً حيث الانسانُ هو أرفعُ فيها من الملاك " (١٤١) . وهذا يتفق والعقيدةَ المسيحيةَ في مريم

---

(١٤٠) " الكشاف " ٢، ٢٥٠ .- ومما يستحق الذكر هنا تعليق دقيق لمحمود حيث يقول في الهامش ما يلي : " ولم يحسن الزمخشري في قوله : ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة ، فانه جعل الالهية من جملة المنازل كالملكية . ومثل هذا الاطلاق لا يسوغ . والمنزلة عبارة عن المحل الذي ينزل الله فيه العبد من علو وغيره ،فاطلاقها على الالهية تحريف ، والله الموفق للصواب " . المرجع نفسه ، هامش (٢) .

(١٤١) "R. Berakhia dit au nom de R. Aba b. Cahana : Dans le monde futur, les âmes des justes seront admises plus près de Dieu que les anges mêmes; et ceux-ci leur demanderont : qu'avez-vous fait de divin ? Que vous a enseigné Dieu ? R. Lévi b. Hiyouta dit qu'il n'y a pas lieu de s'en étonner, puisque déjà dans ce bas monde on connaît des faits analogues (où l'homme est supérieur à l'ange)..." TJ, _Traité Schabbath_ IV, 79-80.

العذراء ، اذ " هي اكرم من الشـروبيم ، وأمجد بلا قيـاس من السرافيم "،[(١٤٢)]
بل هي " ملكة الملائكـة "[(١٤٣)] . ناجيلا عن دهالأحه يسوع الناصري، ابن الإنسان وابن الله...

غير أنَّ كتبَ التفسـير والتلمود يتفقان في أمرين ثانويـين فيما يتعلق بالملائكـة ، هما عددُها الهائِلُ وفِقْـهُ اَسْـمِها . ففي " السـماء الرابعـــــة ملائكـةٌ لا يُحصـي عددَهم الا اللهُ تعالى " ، وفي السماء السادسة " جندُ اللهِ الاعظم الكروبيون لا يُحصـي عددَهم الا اللهُ تعالـى "[(١٤٤)] . ونقرأ في نبوءة دانيال ما يلـي : وتخدُمُهُ ألوفُ ألوفٍ وتقِفُ بين يديه رِبْواتُ رِبْواتٍ[(١٤٥)] . فيعلـّق

---

(١٤٢) راجع الليتورجية البيزنطية في القداس الالهي ليوحنا فم الذهب ، " كتاب الصلاة لاستعمال المؤمنين ذوي الطقس البيزنطي " جمعه وشرحه المطران ناوفيطوس ادلبي ، منشورات التجديد ، دير الملاك ميخائيل - الذوق (لبنان) ، ١٩٦٢ ، ص ٣٧٢ .

(١٤٣) هو أَحَدُ القابِ (أَوَّلُها من حيث هي مَلِكَةٌ) سيدتِنا مريمَ في تسبحتها لدى الكنيسة اللاتينية : Regina angelorum .

(١٤٤) " قصص الانبيـاء " ١٣-١٤ .

(١٤٥) نبـوءة دانيـال ٧، ١٥ .

التلمود نقلا عن أبّايوسى بن دوساي : آلافُ الألوفِ تخدُمه ، وهذا هو عددُ فرقةٍ واحدة ؛ غير أنَّ عددَ الفِرَقِ كلِّها فلا عددَ له ... » (١٤٦)

أما بخصوص الاسم ، فلفظةُ " ملاك " في اللغات السامية تدلُّ على " اسمٍ لمُهِمَّةٍ ما "، أيّ اسم مفعول ، بمعنى " الرسول "، وليس " لطبيعة ما " (١٤٧) ، مثل جبرائيل أي " قوةُ [او] رجلُ الله " (١٤٨) .

---

(١٤٦) "It is taught : Rabbi said in the name of Abba Jose b. Dosai : 'Thousands thousands ministered unto Him' - this is the number of one troop; but of His troops there is no number". TB, Ḥag. 81.

(١٤٧) "Le nom des anges n'est pas un nom de nature mais un nom de fonction; il signifie 'messager'. Les anges sont des esprits 'destinés à servir, envoyés en mission pour le bien de ceux qui doivent hériter du salut' (He 1, 14)." Dictionnaire de Vocabulaire Biblique[2], article Anges, p.58.

(١٤٨) "Quel que soit le sens premier de גבר , ce nom ne signifie pas : גבריאל spécialement la force; dans les papyrus d'Eléphantine il signifie simplement un homme quelconque. C'est donc l'équivalent de "l'homme de Dieu"..."
P. H.-J. LAGRANGE, Evangile selon saint Luc[5]; Paris Gabalda, 1941; p.20.

واذا فـ " ملاك " هو اسمُ جنسٍ وليس اسمَ عَلَمٍ . وهذا بالضبط ما نجده في تفسير الطبري حيث يقـول :

" من قال مَلْأَكًا فهو مَفْعَلٌ من لأَكَ اليه يَلْئِكُ اذا أُرْسِلَ اليه رسالةً مَلْأَكَةً ومن قال مألكًا فهو مَفْعَلٌ من أَلَكْتَ إليه أَلَكَ اذا ارسلتَ اليه مَأْلَكَةً (...) فسميت الملائكةُ ملائكةً بالرسالة لأنها رُسُلُ الله بينه وبين أنبيائه ومن أُرْسِلَتْ اليه من عباده . " (١٤٩)

وينقل صاحب " لسان العرب " في لفظة " ملأك " ما يلي :

" أصلُهُ مألَكَ بتقديم الهمزة من الألوك ، وهي الرسالة ، ثم قُلِبَتْ وقُدِّمت اللامُ فقيل مَلْأَكَ (...) ثم تُرِكَتْ همزتُهُ لِكثْرةِ الاستعمالِ فقيل مَلَكَ ، فلما جَمَعُوهُ رَدُّوها اليه فقالوا ملائكةٌ وملائكَ أيضا " . (١٥٠)

---

(١٤٩) " الجامع " ١، ١٥٥-١٥٦ .

(١٥٠) " لسان العرب " ١٠، ٤٩٦ .

ويؤيد هذا الرأيَ ايضا الاستشراقُ العلميُّ الحديثُ :

" جمع تكسير لكلمة سامية قديمة (كنعانية) ملأك ، وتعني الرسول . وقد يتراءى للبعض أنَّها كلمةٌ مستعارةٌ ، تسربت الى اللغة العربية عن طريق العبرية . غير أنه لا أثر لأي فعل بهذا المعنى في اللغة العبرية (ولا في الفينيقية حيث يوجد الاسم في رسومات على الحجر راجعةٍ الى العصر القديم) . وجُذْرُ اللفظة ذاتِها في العربية مشكوك في اصله جدا ، اذ يُرْجَعُ به الى ألك وهو امرٌ مشتبهٌ به ، والى لأك وهو امرٌ اكثرُ اشتباها به . " (١٥١)

وثمة بعضُ التشابهِ البعيدِ بين " ملاكِ الموتِ " او " ملائكةِ

---

(١٥١) D.B. MACDONALD, Malā'ika, in EI1, III, p.201.

الموت " في كتب التفسير وهي تشرح نصَ القرآن [١٥٢] و " ملاكِ الموت " في التلمود . فالطبري يتحدث عن الكفرةِ الذين " يأتيهم الملائكةُ بالموتِ فتقبضُ ارواحَهُم " [١٥٣] ؛ وأيضا عن " المشركين (الذين) تأتيهُم الملائكةُ لقبضِ ارواحِهِم " [١٥٤] ؛ وعن " ملك الموت (الذي) يتوفاكم ومعه اعوانٌ من

---

(١٥٢) * قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ * (٣٢) السجدة ١١ . * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ * (٦) الأنعام ١١١ ؛ راجع ايضا الآية ١٥٨ . * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ * (٦) الأنعام ٩٣ . * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ * (٨) الأنفال ٥٠ .
* فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ * (٤٧) محمد ٢٧.
* وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * (٢١) الأنبياء ١٠٣ .
* ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ * (١٦) النحل ٢٨ . * ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ * (١٦) النحل ٣٢ . * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ * (١٦) النحل ٣٣ . الخ ...

(١٥٣) " الجامع " ٨ ، ٧ .

(١٥٤) المرجع نفسه ١٤ ، ٧ .

الملائكــة " (١٥٥) . ونجد في التلمود البابلي ان " زُمَرًا ثلاثًا من الملائكــة الخدَمَةِ تؤهِّلُ بالراحل الصالح " (١٥٦) ، بينما " افواجٌ ثلاثةٌ من ملائكـــــة التدمــير ترقبُ الشـرِّيرَ الراحلَ " (١٥٧) .

هذا فيما يختص بالملائكة بعامة . وثمة الملَكانِ جبريلُ وميكالُ (جبرائيل

---

(١٥٥) المرجع نفسه ٢١ ، ٦٢ .

(١٥٦) "R. Eleazar stated : When a righteous man departs from the world he is welcomed by three companies of ministering angels. One exclaims, 'Come into peace'; the other exclaims, 'He who walketh in his uprightness' (Isa. 57,2), while the third exclaims, 'He shall enter into peace; they shall rest on their beds' (Isa. 57,2)." TB, Kethuboth, p.664-665.

(١٥٧) "When a wicked man perishes from the world he is met by three groups of angels of destruction. One announces, 'There is no peace, saith the Lord, unto the wicked' (Isa. 48,22); the other tells him, 'He shall lie down in sorrow' (Isa.50,11), while the third tells him, 'Go down and be thou laid with the uncircumcised' (Ezek. 32,19)." Ibid. p. 665.

وميخائيل) ، وكلاهما مذكوران آسميا في الكتاب المقدس [(١٥٨)] وفي القرآن[(١٥٩)] . ونجد في كلٍّ من كتب التفسيرِ والتلمودِ رواياتٍ فيهما ؛ غير انني لم اجد أيَّ صِلةٍ بين هذه الرِوايات المختلفة . ويذهب الطبري الى جمع المتناقِضاتِ بين الملكَين : فمن ناحية جبريلُ عدوُ اليهودِ ، اما ميكالُ فَسِـلْمُهُم[(١٦٠)] ؛ ومن ناحية أخرى

---

(١٥٨) جبرائيل وميخائيل في الكتاب المقدس : جبرائيل : دانيال ٨، ١٦ ؛ ٩، ٢١ ؛ لوقا ١، ١٩ و ٢٦ . ميخائيل : دانيال ١٠، ١٣ ؛ ١٢، ١ ، يهوذا ٩ .

(١٥٩) (١٨٤) جبريل وميكال في القرآن : نجد جبريل في عُلَمه ثلاث مرات : (٢) البقرة ٩٧ و ٩٨ ، (٦٦) التحريم ٤ . غير اننا نجده كثـــيرا مشارا اليه دون ذكر اسمه . فهو * الروح الأمين * (٢٦) الشـعراء ١٩٣ ؛ وهو روح الله * روحنا * (١٩) مريم ١٧ ، (٢١) الأنبيـاء ٩١ ، (٦٦) التحريم ١٢ ؛ وهو * روحه * (٣٢) الســجدة ٩ ؛ وهو في ضمير مستتر تقديره جبريل (٥٣) النجم ٥-١٨ ؛ وهو * رسول كريم * و * مطاع ثم أمين * (٨١) التكوير ١٩ و٢١ ؛ ويدعى ايضـا * روح القدس * (١٦) النحل ١٠٢ و (٢) البقرة ٨٧ و ٢٥٣ ، و (٤) النساء ١٧١ ، و (٥) المائدة ١١٠ ، و (١٩) مريم ١٧ ؛ وهو * الروح * (٧٠) المعارج ٤ ، (٩٧) القدر ٤ ، (٤٠) غافـر ١٥ ، (٧٨) النبأ ٣٨ .

(١٦٠) قال اليهود : " ان لَنا عدوًّا من الملائكة وسِلمًا من الملائكة وإنه قُـرِنَ به عدوُّنا من الملائكة قال قلت ومن عدوُكم ومن سِلْمُكمْ قالوا عدُوُّنا جبريـلُ وسِلْمُنا ميكائيلُ " . (" الجامع " ١، ٣٤٣) .

" فجبريلُ ملَكُ الفظاظةِ والغَلَظَةِ والإعسارِ والتشديدِ والعذابِ ونَحْوِ هذا ؛ وإنَّ ميكائيلَ ملَكُ الرأفةِ والرحمةِ والتخفيفِ ونَحْوِ هذا " (١٦١) . وربما كان مصـدرُ هذا التفريق والتَضَـادّ راجعًا الى أنَّ بعضَ رِواياتِ التلمودِ ، وان كانت تُظْهِـرُ الملَكَيْنِ دائما كصديقين لبني اسرائيلَ ، غير أنَّهـا تُصورُ جِبريلَ أحيانًا ملاكـًا للعِقابِ ضِدّ أَعداءِ اسرائيل . (١٦٢)

---

(١٦١) " الجامع " ١، ٣٤٣ .

(١٦٢) راجع مثلا :

TB, San. 99 : "Instantly, Gabriel came and smote them to the ground, and they died". San. 644-5 : "R. Eliezer, the son of R. Jose, said : The Holy One, blessed be He, said to Gabriel : 'Is thy sickle sharpened (to mow down the Assyrians) ?' He replied : 'Sovereign of the Universe! It has been sharpened since the six days of Creation', as it is written, For they fled from the swords, from the sharpened sword etc. (Isa. 21,15). R. Simeon b. Yoḥai said : It was the time for the ripening of fruits, so the Holy One, blessed be He, said to Gabriel, 'When thou goest forth to ripen the fruits, attack them, as it is written..."

هذا فيما يخص الملائكةَ بعامة ، وجبريلَ وميكالَ بخاصة . أما الأرواحُ الشِّرّيرةُ : إبليسُ والشيطانُ مع الشياطين ، والجنُّ مع الجِنَّـــةِ ، فمع أنَّ المراجعَ فيها والرِواياتِ حولها كثيرةٌ جدا في كلٍّ من كتب التفسير والتلمود ، فلم أجد أيَّ لقاءٍ او تقاطعٍ بين القِصص الاسلامية والقِصص اليهودية . ذلك مع احتمال وقوعِ علاقةٍ ما بين الالفاظ العربيةِ والالفاظ الاعجمية . فلفظةُ " ابليسَ " قد تكون تعريبا لـ διάβολος ؛ (١٦٣) أما " شيطان " فلا شك مأخوذةٌ من שָׂטָן عن طريق اللغة الحبشية ؛ (١٦٤) وليس مستحيلا ان تكون كلمتا " جِن " و " جنّة " مأخوذتين من اللفظة اللاتينية genius . (١٦٥)

---

(١٦٣) راجع : A.J. WENSICK, art. Iblīs, in EI¹, p.372.

اما اشتقاق " ابليس " من ابلس بمعنى يئس ، حَسَبَ فقهاء العرب (الطبري ، " لسان العرب " الخ ...) ، فلم يُقنِعْني شخصيا ، وعلى كُلٍّ لا يساعدُنا على تَفَهُّمِنا العَقْلانيّ للفظة .

(١٦٤) راجع : A.S. TRITTON, art. Shaiṭān, in EI¹, p.296.

(١٦٥) راجع : D.B. MACDONALD - (H. MASSE), art. Djinn, in EI², p.560.

راجع رأيا آخر في :

SPEYER, Die Biblischen Erzählungen im Qoran, S.70-71, Fussnote 4 :
" ǵinn ist altarab. Nöldeke (Enc. of Rel. and Ethics, 669; vgl. ZDMG XLI, 1887, 717) stellt das Wort mit äthiop. gānēn zusammen, das 'Dämon' bedeutet. Vgl. Eichler, Die Dschinn, Teufel und Engel im Koran, Leipzig 1928, S.9; 10."

كان هذا محصولُ بحثي في الملائكة . وقبل أن ننتقلَ الى خَلْقِ الانسان ، وهو فصلنا الثالثُ والأخيرُ ، نقارن بين غايةِ الخلق بعامةٍ كما تشرحها كُتُبُ التلمودِ وكُتُبُ التفسير .

إنَّ غايةَ الخلقِ القُصْوى حَسَبَ التلمود ، وِفْقَ الكتابِ المقدّس ، انما مجدُ اللّه .

" كل ما خلقه القدوس ، فليكن مباركا ،
انما خلقه لمجده فقط ، كما هو مكتوب :
كُلُّ مَنْ يُدْعى بأسمي فإنَّني لمجدي خُلَقْتُهُ
وجَبَلْتُه وصَنَعْتُه" (نبوءة اشعيا ٤٣،٧) .(١٦٦)

---

(١٦٦) "Whatever the Holy One, blessed be He, created in his world, created He not but for His glory, as it is said : and (as for) everything that is called by my name, indeed (it is) for my glory (that) I have created it, I have formed it, yea I have made it... (Isa.43,7). Ab.91. Ber.385, Shab. 366, 'Arak.7.
راجع أيضا :

~~(١٦٧) (٥١) الذاريات ٥٦~~

بينما يقول القرآنُ إنَّ غايةَ الخلْقِ انما هي العبادةُ : * وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * (١٦٧) .

و " مجد الله " في العهد العتيق يعني اللهَ ذاتَه إنما متجليـا ظاهرًا في جلالـه وقدرتِه وبهاءِ قداسـتِه وديناميَّةِ كيانه . (١٦٨) غير أنَّ مفهومَ " المجد " هذا بالنسبة لله لم أَجِدْهُ في القرآن ، مع أنَّ * المجيد * من الاسـماء الحسنى (١٦٩) . ولكن المفسرين عندما يشـرحون غايةَ الخلـقِ فانهم

---

(١٦٧) (٥١) الذاريات ٥٦ .

(١٦٨) "L'expression 'gloire de Yahweh' désigne Dieu même, en tant qu'il se révèle en sa majesté, sa puissance, l'éclat de sa sainteté et le dynamisme de son Être". Vocabulaire de théologie biblique[2], p. 505.

(١٦٩) * رَحْمَةُ ٱللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ * (١١) هود ٧٣ . ـ أما النعت " مجيد " فنلقاه ثلاث مرات : * قٓ وَٱلْقُرْآنِ ٱلْمَجِيدِ * (٥٠) قٓ ١ ؛ * وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ . ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * (٨٥) البروج ١٤و١٥ ؛ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ * (٨٥) البروج ٢١ و٢٢ .

يأتون على ذِكْرِ صفاتٍ عديدةٍ لله هي ، كما يتراءى لي ، شرحٌ الى حدٍ بعيدٍ لمفهوم " المجد " في الكتاب المقدس . فغاية الله في خلقه إنما " لِيُظْهِرَ وجودَهُ " ، و " لِيُظْهِرَ كمالَ عِلْمِهِ وقُدْرَتِهِ بظهورِ أفعالِهِ المُتْقَنَةِ المُحْكَمَةِ " فـ " يُعْبَدَ " ؛ وليظهر " إحسانَه " و " رحمتَه " فـ " يُحْمَدَ " و " يُشْكَرَ " .

وذُرْوَةُ ما يتوصل اليه المفسرون في غاية الخلق هي أنَّ الله " خلق الخلقَ جميعَهُم لأجل محمدٍ صلّى الله عليه وسلّم " (١٧٠) – كما سبق وتوصل بولس الى

---

(١٧٠) " قال الحكماء : خلق الله تعالى الخلقَ ليظهر وجودَهُ ، ولو لم يخلُقْ لما عُرِفَ أنه موجودٌ ، وليظهر كمالَ عِلْمِهِ وقُدْرَتِهِ بظهور افعاله المُتْقَنَةِ المُحْكَمَةَ لأنها لا تتأتّى إلا من قادرٍ حكيمٍ ، وَلِيُعْبَدَ فانه يُحِبُّ عِبادةَ العابدين ويُثيبُهُم عليها على قَدَرِ فَضْلِهِ لا على قَدَرِ أفعالِهم وان كان غنيًا عن عبادة خَلْقِهِ ، لا تزيدُ في مُلْكِهِ طاعةُ المطيعين ولا تُنْقِصُ من مُلْكِهِ مَعْصِيَةُ العاصين ، قال الله تعالى * وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * ((٥١) الذاريات ٥٦) وَلِيُظْهِرَ إحسانَهُ لأنه محسنٌ فأوجدَهُم لِيُحْسِنَ إليهم ولِيَتَفَضَّلَ عليهم فَيُعامِلَ بعضًا بالعدل وبعضًا بالفضل ، وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عزّ وجلّ * وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * ((٣٣) الاحزاب ٤٣) وقال تعالى * وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ * ((١١) هود ١١٩) . قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك بن مزاحم : أي للرحمة خَلَقَهُم ولِيَحْمَدوهُ لأنه يُحِبُّ الحمدَ .

(١٧٠) تابع

" ويُروى أنَّ آدمَ عليه السلامُ لما خلقه اللهُ تعالى وعرض عليه ذُرِّيتَهُ وَجَدَ فيهم الصحيحَ والسقيمَ والحسنَ والقبيحَ والأسودَ والأبيضَ . فقال يا ربِّ هلّا سَوَّيْتَ بينهم ؟ فقال الله تعالى : إني أُحِبُّ ان أُشْكَرَ .

" قال ابو الحسن الفتال : خلق الله تعالى الملائكةَ للقدرةِ وخلق الاشياءَ للعِبرة وخلقك للمِحْنَةِ ، قال تعالى * ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ * ((٣٠) الروم ٤٠) .

" قال العلماء : خلقكمْ لاظهار القُدْرَةِ ، ثم رَزَقَكمْ لاظهار الكَرَمِ ، ثم يُميتُكمْ لاظهار القَهْرِ والجَبَرُوتِ ، ثم يُحييكمْ لاظهار العَدْلِ والفضلِ والثوابِ والعقاب . ومنهم من قال : خلق الخَلْقَ جميعَهُم لأجل محمدٍ صلى الله عليه وسلم .

" عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمِن بمحمدٍ وأْمُرْ أُمَّتَكَ أن يؤمنوا به ، فلولا محمدٍ ما خلقتُ آدمَ ولا الجَنَّةَ ولا النَّارَ ، ولقد خلقتُ العرشَ على الماء فاضطرب ، فكتبت عليه : لا اله الا اللهُ محمدٌ رسولُ الله فسكن . وقيل خلقهُم لأمر عظيم غَيَّبَهُ عنهم ، لا يُجليه حتى يَحِلَ بهم ما خلقهُم له ، قال الله تعالى * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * ((٢٣) المؤمنون ١١٥) . " (" قصص الانبياء ... " ٢٤-٢٥)

ان الخلق جميعه لأجل يسوع المسيح ، ربِ المجدِ[١٧١] : فَكُلُّ شَـيءٍ خُلِقَ به وله .[١٧٢]

ولدى أهلِ التفسيرِ غايةٌ غيرُ معلومةٍ لم اجد لها أثرا في الكتاب المقدس او في التلمود : " وقيل خلقهم لأمر عظيم غَيَّبَهُ عنهم ، لا يُجْليـــه حتى يَحِلَّ بهم ما خَلَقَهُم له " .[١٧٣]

---

(١٧١) " الرسالة الاولى الى اهل قورنتس " ٢، ٨ .

(١٧٢) هو صورةُ الله الذي لا يُرى وبِكْرُ الخلائقِ كُلِّها . ففيه خُلِقَ كُلُّ شيء مما في السموات ومما في الأرض ، ما يُرى وما لا يُرى ، أأصـحابَ عرشٍ كانوا ام سِيادةٍ ام رئاسةٍ ام سُلطةٍ . كُلُّ شيءٍ خُلِقَ به ولـه . كان قبل كل شيء وبه قِوامُ كلِّ شيءٍ وهو أيضا رأسُ الجسد أيّ رأسُ الكنيسة . هو البَدْءُ وبِكْرُ من قام من بين الأمواتِ لتكون له الأَوَّلِيَّةُ في كل شيء . فقد شـاء الله ان يَحُلَّ به الكمالُ كلُّهُ وبه شـاء أنْ يُصالِحَ كلَّ موجودٍ سَواءٌ في الارضِ وفي السموات ، فهو الذي حقق السـلامَ بدمِهِ على الصليب (" رسالة القديس بولس الى اهل قولسي " ١، ١٥-٢٠) .

(١٧٣) " قصص الأنبيـاء " ٢٥ .

٠٣- خلـق الانســان

لِنَتَقَصَّ خلق الانســان بعامة ، ومن ثم قِصةَ آدمَ وحــواءَ وهبوطِهِمــا .

أ - خلق الانسان بعامة

لقد عثرت على عدد لا بأس به من نُقاطِ الاتصـال او علـى الاقل التقاطع بين نصوص الكتاب المقدس والتلمود من ناحية ، ورواياتِ كُتـب التفسـير من ناحية اخرى ، أَعْرِضُ أَهَمَّها فيما يلي تحت العناوين التالية :
١) في ماءي الرجل والمرأة بخلق الانســان ؛ ٢) في التربة التي خلق منها آدم ؛ ٣) في مراحلِ خلق آدم ؛ ٤) في خلق آدم آخِــــرَ أيام الخلق ؛ ٥) في اُسم آدم ؛ ٦) في أجزاء جســم آدم ؛ ٧) في شعر آدم ؛ ٨) في حجم آدم ؛ ٩) في عرض آدم علـى الملائكة ؛ ١٠) في خلق حواء ؛ ١١) في الخير والشـــــر وخلـقِ آدم .

١) في مــاءي الرجل والمرأة بخلق الانســان

التفســـــــير

يقول الطبري في شــرحه (٧٦) الانســان ٢ : " وقوله ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ يقول تعالــى ذكــره إنا خلقنا ذُريّةَ آدم من نُطْفةٍ يعني من ماء الرجل وماء المرأة والنُطْفــةُ كُلُّ ماءٍ قليل في وِعاءٍ كان ذلك رَكيّةً او قُربةً او غيرَ ذلك (...) واختلف أهْلُ التأويل في معنى الأمشــاج الذي عَنى بها في هذا الموضــــوع فقال بعضــهم هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة "(١) وينقل لنا أيضــا عن " وكيع عن سفيان عن ابن نجيح عن مجاهد امشــاج نبتليه قال الوانُ النطفة نطفةُ الرجل بيضــاءُ وحمراء ونطفةُ المرأة حمراءُ وخضراء "(١)

(" الجامع " ٢٩ ، ١٢٦-١٢٧)

التلمـــــود

"Our Rabbis taught : There are three partners in man, the Holy One, blessed be He, his father and his mother. His father supplies the semen of the white substance out of which are formed the child's bones, sinews, nails, the brain in his head and the white of his eyes; his mother supplies the semen of the red substance out of which is formed his skin, flesh, hair, blood and the black of his eye; and the Holy One, blessed be He, gives him the spirit and the breath, beauty of features, eyesight, the power of hearing and the ability to speak and walk, understanding and discernment. When his time to depart from the world approaches the Holy One, blessed be He, takes away his share and leaves the shares of his father and his mother with them..." (*Niddah* 214)

ان أوجه الشبه واضحةٌ بين النصين : فنطفةُ الذكر تختلط بنطفة الأنثى لتكوين الانسان . ولونُ ماءِ الأب في التلمود أبيضُ ؛ أما في التفسير فهو أبيضُ وأحمرُ . ولون ماءِ الأم في التلمود هو أحمرُ ؛ اما في التفسير فهو أحمرُ وأخضرُ .

٢) في التربة التي خلق منها آدم . – والتربة التي جُبل منها الانسانُ الأولُ في روايات التلمود كما في كتب التفسير لم تُؤْخَذْ من بُقْعَةٍ واحدةٍ من الأرض ، إنما من عِدَّةِ بِقاع .

" إن مَلَكَ الموت لما بُعِثَ ليأخُذَ من الأرض تربةَ آدم أخـــذ من وجــه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكانٍ واحــد وأخذ من تربــةٍ حمـــراءَ وبيضــاءَ وســوداءَ فلذلــك خرج بنو آدم مختلفــين ... " (" الجامع " ١ ، ١٦٩ . راجع ايضا ١ ، ١٧٠ ؛ ١٥، ٨٠) .

" فقال ملاك الموت : وإني اعوذ بالله أن أعصِـــي لــه أمرا ، فقبض قَبْضــة من زواياها الأربعِ من أديمها الأعلى ومن سَبَخَتِهــا وطينها واحمرِها وأَســودِها وابيضِــها وســهلِها وحَزنِهــا ، فكذلــك كان في ذريــة آدم الطيِّبُ والخبيثُ والصــالحُ والطالحُ والجميلُ والقبيـــحُ ، ولذلك اختلفت صــورُهم وألوانُهم ... " (" قصص الأنبيـــاء " ٢٦ ؛ راجع أيضا ٢٧) .

"It has been taught : R. Meir used to say : The dust of the first man was gathered from all parts of the earth, for it is written, *Thine eyes did see mine unformed substance* (Ps. 139,16), and further it is written, *The eyes of the Lord run to and fro through the whole earth.* (Zech. 4,10). " (*Sanh.* 241)

٣) في مراحل خلق آدم ٠- يصف التلمود خلق آدم وتطوره ساعة فساعة ٠ ويذكر الطبري شيئا عن تحوّل الرجل الأول من الطينة الى الانسانية بنفخ الروح فيه ٠

" بنفخ الروح فيـه يتحوّل خَلْقـا آخَرَ انســانا وكـان قبل ذلـك بالأحـوال التي وصـفهُ اللهُ أنه كان بهـا من نُطْفَــة وعَلَقَـةٍ ومُضْـغَةٍ وعَظْـم وبنفخ الروح فيه يتحـوّل عن تلـك المعانـي كلِّهـا الى معنى الانسـانية كما تحوّلَ ابوه آدمُ بنفـخ الـروح فـي الطينة التي خُلِق منها انسـانا وخَلْقا آخَرَ غيرَ الطـين الذي خُلِـقَ منـه ... " (" الجامع " ١٨، ٩)

"R. Johanan b. Ḥanina said : The day consisted of twelve hours. In the first hour, his (Adam's) dust was gathered; in the second, it was kneaded into shapeless man; in the third, his limbs were shaped; in the fourth, a soul was infused into him; in the fifth, he arose and stood on his feet; in the sixth, he gave (the animals) their names; in the seventh, Eve became his mate; in the eighth, they ascended to bed as two and descended as four; in the ninth, he was commanded not to eat of the tree; in the tenth, he sinned; in the eleventh, he was tried; and in the twelveth, he was expelled (from Eden) and departed, for it is written, Man abideth not in honour (Ps. 49,13). " (Sanh. 242)

٤) في خلق آدم آخر ايام الخلق . - ويتفق التراث اليهودي والاسلامي في ان آدم خلق يوم الجمعة وهو آخر ايام الخلق . ويقدم كل من رواة كتب التفسير والتلمود تفاصيل بهذا الشأن . فالتلمود يذكر ان آدم كان آخر من خلق وأول من عوقب؛ (١٧٤) وأنه خلق ليلة السبت . (١٧٥)

---

(١٧٤) "R. Ammi said : (Adam was) behind (last) in the work of the creation and before (the others) for retribution. One may well concede that he was 'behind in the work of creation'; since he was not created before the Sabbath eve..." 'Er.123. cf. also Ber. 381.

(١٧٥) "Our Rabbis taught : Adam was created (last of all beings) on the eve of Sabbath." TB, Sanh. 240.

راجع ايضا سفر التكوين ١،٢٧ و ٣٢ : فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم ... وكان مساء وكان صباح يوم سادس .

وينقل الطبري : " كان آدم صلى الله عليه وسلم آخرَ ما خُلــق من الخلق " . [١٧٦] كما انه يشــرح أَنَّ كُلَّ شــيء مما خُلِقَ إنَّما خُلِقَ مــن أجل الانســان ، بخاصة المواشــي . [١٧٧] بل يذهب ابن جرير فيدقّــق في السـاعة التي خُلِقَ فيها ابو البشــر ؛ ففي شــرحه للآيــة * خُلِقَ ٱلْإِنسَــانُ مِنْ عَجَلٍ * يذكر أَنَّ " الله خلقه في آخِرِ النهارِ يومَ الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه اياه قبل مَغيبِها " واذا " هي آخِرُ ســاعاتِ النهـــــــار

---

(١٧٦) " الجامع " ٢٩، ١٢٥ .

(١٧٧) المرجع نفسه ٢٣، ١٩ : يقول الطبري في تفســير (٣٦) يس ٧١ * أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّآ خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * مــا يلي : " يقول مما خلقنا من الخلق أنعاما وهي المواشي التي خلَقَهــا اللهُ لبني آدم فَسَخَّرَها لهم من الإِبْل والبقرِ والغنمِ فهم لها مالكــون يقول فهم لها مصرِّفون كيف شــاؤا بالقَهْرِ فهم لها والضبط " . ونعثرُ عند الزمخشري على الفكرة عينها : " مما تولينا نحن إحداثَه ولم يَقْدِرْ على تَوَلِّيه غيرُنا ، وانما قال ذلك لبدائع الفطرةِ والحكمةِ فيها ، التي لا يصِحُّ ان يَقدِرَ عليها الا هو (...) فملكناهُم إياهم ، فهــم متصرفون فيها تَصَرُّفَ الملّاك " . " الكشاف " ٤، ٢٧ .

من يوم الجمعة " قُبَيلَ مغيب الشمس او بُعَيْدَها . (١٧٨)

٥) في اسم آدم . - وبين التفاصيل التي ينقلها المفسرون في الانسان الأول نعثر على بعض العناصر التي ترجع مباشرة ولا شك الى نص التوراة ، منها فقه لفظة " آدم " بالذات . فصاحب " الجامع " يقدم لنا أصل اسم آدم اللغوي في قوله : " سُمي آدمَ لأنه خُلق من أديم الأرض " (١٧٩) . ويذهب الزمخشري الى ادق من ذلك فأقربَ الى الأصل العبري عندما يقول : " آدم من الآدمة ، ومن اديم الأرض " (١٨٠) ، مما يذكرنا بحرفية التوراة :

---

(١٧٨) " الجامع " ١٧، ٢٠-٢١ .

(١٧٩) المرجع نفسه ١، ١٦٩ . - راجع ايضا ١٥، ٨٠ : " سمي آدمَ لأنه خلق من اديم الأرض " ؛ و١٨، ٦ : " وكان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض " .

(١٨٠) " الكشاف " ١، ١٢٥ .

וַיִּיצֶר יְהוָה אֱלֹהִים אֶת־הָאָדָם עָפָר מִן־הָאֲדָמָה [١٨١]

(وصنع يهوڤا ألوهيم ال آدم ترابا من ال آدمه) [١٨٢]

٦) في اجزاء جسم آدم :- ويقدم خلق جسم آدم في اجزائه مثلا جيدا للمقارنة بين معطيات التلمود وروايات التفسير ، لأن أوجه الشبه قريبة ودالة على نمط من التفكير مماثل .

---

(١٨١) سفر التكوين ٢، ٧ .

(١٨٢) هذه ترجمتي الحرفية للنص العبري . أما الترجمة الرسمية فهي : وان الرب الاله جبل الانسان ترابا من الأرض . راجع أيضا سفر التكوين ٣، ٢٣ .

" وسأل عبدالله ابن سلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق اللهُ آدم عليه السلام ، فقال : خلق رأسَ آدم وجبهتَه من تراب الكعبة ، وصدرَه وظهرَه من بيت المقدس ، وفَخْذَيهِ من أرض اليمن ، وساقَيهِ من أرض مصر ، وقدمَيهِ من أرض الحجاز ، ويدَهُ اليمنى من أرض المشرق ، ويدَهُ اليسرى من أرض المغرب ... "

(" قصص الأنبياء " ٢٧)

"R. Oshaiah said in Rab's name : Adam's trunk came from Babylon, his head from Erez Yisrael (١٨٣) , his limbs from other lands, and his private parts, according to R. Aḥa, from Aḳra di Agura." (١٨٤) (Sanh. 241)

---

(١٨٣) وفي الهامش تعليق للمترجم :

"His head, the most exalted part of his body, comes from : Eretz Yisrael the most exalted of all lands." Sanh. 241, footnote (10).

(١٨٤) وفي الهامش تفسير للمترجم :

"A town near Pumbeditha (Obermeyer, op. cit. 237, n.3), notorious on account of the loose morals of its inhabitants, v. Guisberg, Legends V. 15." Sanh. 241-242, footnote (11).

أما Pumbeditha في بلاد بابل ، فراجــع :

The Jewish Encyclopedia. Article on Academies in Babylon.

راجع أيضـا :

La géographie du Talmud, p. 368 : "... nous signalerons des endroits probablement sans importance, que le Talmud place encore dans la Babylonie proprement dite. Une identification en serait impossible à cause de la connaissance imparfaite de la topographie actuelle de ce pays.

"Un messager royal ayant poursuivi Rabba bar Nahmani, se rendit de Pome-Beditha à Akra, de là à Agma, d'Agma à Schelin, de ce dernier lieu à Cerifa, de Cerifa à En-Damim, de ce point il retourna à Pome-Beditha. Ces localités doivent, par conséquent, se trouver dans les environs de Pome-Beditha. Il n'y a qu'Agma qu'on rencontre dans d'autres passages du Talmud, sous la dénomination d'Akra d'Agma; c'était le lieu natal de R. Ada bar Ahba. Nous avons dit qu'Akra signifie forteresse."

Cf. LE STRANGE, GUY, The Lands of the Eastern Caliphate. Cambridge University Press, 1905; p.74: "The City of the Bridges, (al-Qanâṭir) Qanṭarut al-Kufa) 28 miles north of Kufah, it probably lay adjacent to, or possibly was identical with, the Hebrew Pombedita (Arabic, Fam al-Badât, mouth of the Badât Canal)..."

ففي رواية التلمود نجد ان الامتياز الاكبر يرجع ، طبعا، الى أرض اسرائيل ، دون سواها ، فمن تربتها أُخذ تُرابُ رأسِ آدم ؛ اما باقي البلدانِ فهي إما غيرُ مُسَمَّاةٍ : " بلدان اخرى " ، ومنها اخذت يداه وساقاه ؛ وإما بلدان عدوةٌ : " بلاد بابل " ، ومنها أُتي بجذعه ؛ وإما بلادٌ شهيرةٌ بفحشائها وهي " اقرا دي آجورا " ، ومنها أُتت اعضاؤُهُ التناسلية . بينما جميعُ البلدان في رواية الثعلبي هي من الاقطار الواقعة في دار الاسلام والسلام : اليمن ، ومنها الفَخْذان ؛ مصر ، ومنها الساقان ؛ الحجاز ، ومنها القدمان ؛ المشرق ، ومنه اليد اليمنى ؛ المغرب ، ومنه اليد اليسرى ؛ ويبقى الامتياز الاكبر ، طبعا ، لتراب الكعبة : فمنه رأسُ آدم وجَبهتُه؛ وثمة امتيازٌ آخَرٌ لتربة بيت المقدس : فمنها جِذعُه .

٧) في شعر آدم . — وثمة تفصيل في وصف شعر آدم ارجع انه نتيجةُ التباسٍ مع شخصية اسرائيلية اخرى هي ابشالوم ، ابن داود الملك ، والذي اشتهر في العهد العتيق بطول شعر رأسه . والازائية هنا تتكلم من تلقاء عرضها .

ولم يكن في جميع اسرائيل رجل جميل كثير المدحة كأبشالوم من أخمص قدمه الى قمة رأسه لم يكن فيه عيب • وكان عند حلقه رأسه اذ كان يحلقه في آخر كل سنة لأنه كان يثقل عليه فيحلقه يكون وزن شعر رأسه مئتي مثقال بمثقال الملك (•••) وتلاقى ابشالوم بعبيد داود وكان ابشالوم راكبا على بغل فدخل البغل تحت اغصان بلوطة عظيمة ملتفة فتعلق رأسه بالبلوطة فرفع بين السماء والأرض ومرّ البغل من تحته •••

(سفر الملوك الثاني ١٤، ٢٥ - ٢٦؛ ١٨، ٩)

" ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا الحسن عن ابي بن

كعب ان آدم عليه السلام كان رجلا طوالا كأنه نخلة

سحوقٌ كثيرَ شعرالرأس فلما وقع بما وقع به من

الخطيئة بدت له عورتُه عند ذلك وكان لا يراها

فانطلق هاربا في الجنة فعَلِقَتْ برأسه شجرةٌ من

شُجَيْرِ الجنة فقال لها أَرْسِليني قالت إِني غيرُ مرسِلَتِكَ

فناداه ربُّه ... "

(" الجامع " ٨ ، ١٠٦)

٨) <u>في حجم آدم</u> . - ونجد عند الثعلبي معلومات في حجم آدم وقصة تقصيره . ونلقى الفكرة ذاتها في التلمود البابلي حيث يحط الله قامة الانسان الأول بعد هبوطه .

" قال ابن عباس رضي الله عنهما* : لما أُهبِطَ آدم الى الأرض على جبل سرنديب وذكر ان ذروته اقربُ من ذَرا (١٨٥) جبال الأرض الى السماء وكانت رِجْل آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمَعُ دعاء الملائكة وتسبيحهم ، وكان آدم يأنسُ بذلك فهابتْه الملائكة واشتكت الى ربها ، فحُطَّتْ قامته الى ستينَ ذِراعا ، وكان قبل ذلك يَمسُّ رأسُه السحابَ ، فصَلِعَ . وأخذ اولاده الصلعُ ، فلما نقَصَ من قامته ذلك قال : ربِّ كنت جارك في دارك ليس لي ربٌّ سواك ولا رقيبٌ دونك آكلُ فيها رغداً وأسلك حيث أُحببتُ ، فأهبَطّني الى هذا الجبل ، وكنتُ اسمع اصواتَ الملائكةِ وأراهم كيف يحُفّون بعرشك وأجدُ ريح الجنة وطيبها ، ثم اهبطني الى الأرض وحطَطّتني الى ستينَ ذراعا ، فقد انقطع عني الصوتُ والنظرُ وذهبتْ عني رائحةُ الجنة ، فأجابه اللهُ تعالى " بمَعْصِيتِك يا آدم "فقال آدم : ذلك بك يا رب . " (" قصص الانبياء " ٣٤-٣٥)

---

(١٨٥) " ذرى " في طبعة اخرى : " قصص الانبياء المسمى بالعرائس تأليف الامام العالم العلامة ابن اسحق احمد بن محمد ابراهيم الثعلبي تغمّده الله برحمته واسكنه فسيح جناته - وبهامشه كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين للعلامة اليافعي نفعنا الله به وبعلومه آمين . قوبلت وروجعت هذه الطبعة على عدة نسخ صحيحة . الناشر مكتبة الجمهورية العربية لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد بشارع الصنادقية بجوار الازهر - بمصر " . (دون تاريخ) : ص٢٠.

* كذا ! في الطبعتين . واقدر ان المتن يشمل آدم ايضا مع ابن عباس اذ الجملة الكاملة في الأصل هي : " في حال آدم بعد هبوطه الى الأرض وما كان منه قال ابن عباس رضي الله عنهما ... "

ن التلمود البابلي نعلم ان قامة آدم حَسَبَ الســنة

ذراع :

"R. Meir said : It means (with a hei
cubits, twice the height of Adam." (

انت تبلغ من " الأرض الى السماء " حَسَبَ التلمود

الأرض الى اقاصيها " على حد تعبير آخـر

حُطَّتْ الى مئة ذراع حسب تقدير ربي مائـر ،

ر ابن عباس في رواية الثعلبي .

دم على الملائكة . - ونعلم من القرآن ان

؛ ولا نجد لهذا الحدث اثرا في الكتـاب

رواية له في التلمود البابلي لربما كان لهـا

الطبري .

للمترجم :

"According to tradition, Adam's hei
hundred cubits". TB Sanh. 678, foot

وفي مكان آخر من التلمود البابلي نعلم ان قامة آدم حَسَبَ السـنة اليهوديـة قد حُطَّتْ الى مئة ذِراع :

"R. Meir said : It means (with a height of) two hundred cubits, twice the height of Adam." (١٨٦)

فقامة آدم اذا كانت تبلغ من " الأرض الى السماء " حَسَبَ التلمود وكتب التفسير (او"من اقصى الأرض الى اقاصيها " على حد تعبير آخر في التلمود فقط) ؛ ومن ثم حُطَّتْ الى مئة ذراعٍ حسب تقدير ربي مائر ، والى ستينَ ذِراعا حَسَبَ تقدير ابن عباس في رواية الثعلبي .

٩) في عرض آدم على الملائكة . – ونعلم من القرآن ان الله عرض آدم على الملائكة ؛ ولا نجد لهذا الحدث اثرا في الكتاب المقدس ، غير اننا نعثر على روايـة له في التلمود البابلي لربما كان لها اصداؤها في بعض ما نقله الطبري .

---

(١٨٦) وفي الهامش تعليق للمترجم :

"According to tradition, Adam's height was one hundred cubits". TB Sanh. 678, footnote (5).

" ان الله جل ثناؤه قال للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة
قالوا ربّنا وما يكون ذلك الخليفةُ قال يكون له ذُرّيةٌ يُفسدون في الأرض
ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا ... " (" الجامع " ١، ١٥٧)

" أَنبؤني باسماء من عرضتُه عليكم ايتها الملائكةُ القائلون أتجعلُ فيها
من يُفسدُ فيها ويَسفكُ الدماء من غيرنا ام منا فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك
ان كنتم صادقين في قيلكم إنّي إنْ جعلتُ خليفتي في الارض من غيركم عصاني
ذُرّيتُه وافسدوا فيها وسفكوا الدماء وان جعلتكم فيها اطعتموني واتّبعتم امري
بالتعظيم لي والتقديس فانكم ان كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتُهم
عليكم من خَلْقي وهم مخلوقون موجودون ترونَهم وتعاينونَهم وعلِمَهُ غيرُكم بتعليمي
اياه فانتم بما هو غيرُ موجودٍ من الامور الكائنة التي لم توجد بعد وبما هو مستترٌ
من الامور التي هي موجودةٌ عن اعينكم احرى ان تكونوا غيرَ عالمين فلا تسألوني
ما ليس لكم به علمٌ فاني اعلم بما يُصلِحُكم ويُصلِحُ خلقي وهذا الفعلُ من الله
جل ثناؤُه بملائكته الذين قالوا له أتجعلُ فيها من يُفسد فيها من جهة عتابه
جلّ ذكرُه إياهم نظيرُ قولِه جلّ جلالُهُ لنبيهِ نوحٍ صلوات الله عليه ... "

(" الجامع " ١، ١٧٣)

"Rab Judah said in Rab's name : When the Holy One, blessed be He, wished to create man, He (first) created a company of ministering angels and said to them : Is it your desire that we make a man in our image ? They answered : Sovereign of the Universe, what will be his deeds ? - Such and such will be his deeds, He replied. Thereupon they exclaimed : Sovereign of the Universe, What is man that thou art mindful of him, and the son of man that thou thinkest of him? (Ps. 8,5). Thereupon He stretched out His little finger among them and consumed them with fire. The same thing happened with a second company. The third company said to Him : Sovereign of the Universe, what did it avail the former (angels) that they spoke to Thee (as they did) ? the whole world is Thine, and whatsoever that Thou wishest to do therein, do it. When He came to the men of the Age of the flood and of the division (of tongues) whose deeds were corrupt, they said to Him : Lord of the Universe, did not the first (company of angels) speak aright ? Even to old age I am the same, and even to hoar hairs will I carry (Isa. 45, 4), He retorted." (Sanh. 242)

يتراءى لي أنّ ما قد يكونُ مفيدا لبحثنا هو التساؤلُ الذي تطرحُه الملائكة على الله في نص كل من التلمود والتفسير : قالوا ربّنا وما يكون ذلك الخليفةُ أيّ الانسان ؟ فهذا السؤالُ بالذات لا نجده في نص القرآن : ﴿ وإذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنّي جاعِلٌ في ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيها مَن يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قال إِنّيٓ أَعْلَمُ ما لَا تَعْلَمُون ﴾ (١٨٧) . أما ٱنسياقُ الروايتين فذِكْرُهما أيامَ الطوفان من ناحية التلمود ، والنبيَ نوحَ من ناحية التفسير ، فأعْتَبِرُهُ مجردَ صِدْفةٍ ، لا غيرُ .

١٠) في خلق حواء . - كان ذلك كلُّه في شأن آدم . اما حواء ، التي لا يذكرها القرآن بأسمها - " كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة " (١٨٨) - فالمفسرون يعرفونها جيدا ، أسمَها ونشأتَها وقصتَها مع آدم . وباستطاعتنا تأليفُ الازائيةِ التاليةِ في رِوايات خلقها :

---

(١٨٧) (٢) البقرة ٣٠ .

(١٨٨) " الكشاف " ١ ، ١٢٩ .

الكتـاب المقـــدّس

سفر التكوين ، الفصل الثاني :

٨ وجعل هناك (في الجنة) الانسانَ الذي جبله ...

١٨ وقال الرب الاله لا يَحْسُنُ أن يكون الانسانُ وحدَه فأصنعُ له عونا بازائـه .

١٩ وجبل الرب الاله من الارض جميعَ حيواناتِ البرية وجميعَ طيرِ السـماء واتـى بهـا آدمَ ليرى ماذا يُسميها فكلُّ ما سماه به آدمُ من نَفْس حية فهـو اسمُهُ .

٢٠ فدعا آدم جميعَ البهـائمِ وطيرَ السماءِ وجميعَ وحشِ الصحراء بأسـماء . واما آدمُ فلم يوجد له عونٌ بازائـه .

٢١ فأوقع الرب الاله سُباتا على آدم فنام فأستل إحدى أَضلاعه وسـدّ مكانَهـا بلحـم .

٢٢ وبنى الرب الاله الضِّلعَ التي اخذها من آدم امرأةً فأتى بهـا آدم .

٢٣ فقال آدم هو ذا هذه المرةَ عَظْمٌ من عظامي ولحم من لحمي . هذه تسمى اَمرأةً لأنهـا من اَمرئٍ اخذت .

٢٤ ولذلك يترك الرجل اباه وأمه ويلزمُ اَمرأتَه فيصـيران جسدا واحـــــدا . وكانا كلاهما عُريانَـينِ آدمُ واَمرأتُه وهُما لا يَخْجَـلان ...

كتب التفسير

" لما اسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحيدا لم يكن له من يجالسه ويؤانسه " (" قصص الانبياء " ٢٩) [١٨٩]

" ألقى على آدم السِّنَةَ (...) [١٩٠] ثم أخذ ضِلعا من اضلاعه من شِقِّهِ الأيسر ولأم مكانه وآدم نائم لم يَهُبَّ من نومته حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضِلَعتِهِ تلك زوجته حواءَ فسواها امرأةً ليسكن اليها فلما كشف عنه السِّنَةَ وَهَبَّ من نومته رآها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله اعلم لحمي ودمي وزوجتي فسكن اليها " .

(" الجامع " ١٣٩ ، ٤)

---

(١٨٩) راجع كذلك " الجامع " ١٣٩ ، ٤ : " أسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها ... " .

(١٩٠) من المفيد ان ننقل هنا سَنَدَ الرواية وهو الآتي : " حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال القى على آدم صلى الله عليه وسلم السنة فيما بلغنا عن اهل الكتاب من اهل التوراة وغيرهم من اهل العلم عن عبدالله بن العباس وغيره ... " .

سـفر التكوين : الفصـل الثالث

٢٠ وسمّى آدمُ امرأته حـواءَ لأنها امُّ كلِّ حيّ .

سـفر التكوين : الفصـل الثاني

٢٣ هذه تسمّى امرأةً لأنها من امرىءٍ أخـذت .

" فلما هبَّ آدمُ من نومِهِ رآها قاعدة عند رأســه ، فقالــت

الملائكــةُ لآدمَ يمتحنون عِلْمَه : ما هذه يا آدم ؟ قال : امرأةٌ ،
قالوا : وما اسمها ؟ قال :
حــواءُ ، قالوا : صَــدَقْتَ ، ولِمَ سُمِّيَتْ حواءُ بذلــك ؟ قال :

لأنها خُلِقَتْ من شــيءٍ حيٍّ ... "

(" قصص الأنبيــاء " ٢٩)

ان المقارنة بين مصراعي الازائية تُبرزُ لنا بعضَ العناصرِ المشتركةِ (تحتها خط أحمر) بين التوراة وكتب التفسير :

٠١- في سبب خلق حواء : كان آدم في " وَحْدة " و " وَحْشة "، فخلق الله المرأة للرجل " ليسكنَ اليها " وتسكنَ اليه ".(١٩١)

٠٢- في عملية خلق حواء : أوقع الله نوما على آدم ، وأخذ ضِلعا من اضلاعه ولأم مكانه ؛ ثم سوى المرأةَ من ضِلع آدم هذا .

٠٣- في اول رد فعل آدم عند مشاهدته المرأة : اعجاب وفرح عميقان . ففي التوراة يهتف آدم : هوذا هذه المرةَ عَظْمٌ من عظامي ولحم من لحمي . وعند الطبري : " لحمي ودمي وزوجتي " .

٠٤- في اَسم حواء : اعطى آدمُ حواءَ اَسمَها في التوراة وكذلك عند المفسرين .

---

(١٩١) " قالوا (الملائكة لآدم) : ولماذا خلقها الله تعالى ؟ قال (آدم) : لتسكن الي واسكن اليها ... " هذا النص هو تكملة الاستشهاد السابق .

١٠- في معنى اسم " حواء " : نجد عند الثعلبي تفسيرا لاسم " حواء " حيث يقول : " سميت حواءُ (...) لأنها خلقت من شيء حيّ ... " وهذا التفسير بمثابة مزيج لتفسيري التوراة لاسمين مختلفين ، اولهما اسمُ " امرأة " : هذه تسمى امرأةً لأنها من امرئٍ أُخذت ، وثانيهما اسم " حواء " : وسمى آدمُ امرأتهُ حواءَ لأنها أمُّ كلِّ حيٍّ .

١١) في الخير والشرّ وخلق آدم .- وأخيرا نلقى وجهَ شبهٍ في خلق الانسان ووجود الخير والشر فيه منذ اللحظة الاولى . فالتلمود يذكر " ان الله خلق في الانسان الأول موقفين " و " أنّ الله خلق (في قلب الانسان) مَيْلَيْنِ ، واحد خَيِّرٌ والآخَرُ خبيث " .(١٩٢) وينقل الطبري حديثا لرجل كان يقول : " لي نفسٌ تأمرني ونفس تنهاني " ،(١٩٣) كما انه يروي عن ابن عباس

---

(١٩٢) "God created two inclinations, one good and the other evil (...) God created two countenances in the first man..." TB, Ber. 381.

(١٩٣) " الجامع " ٢١، ٧٥ .

ما يلـي : " مسح اللهُ ظهرَ آدمَ فأخرج كلَّ طيّبٍ من يمينه واخرج كلَّ خبيـثٍ من الأُخـرى ".(١٩٤) وفي العهـد الجديد ، يعترف بولس : الرَّغبـةُ في الخـير هي باسـتطاعتي . أما فِعْلُهُ فلا . فالخير الذي أريدُهُ لاأَفْعَلُهُ ، والشـرُّ الذي لا أُريدُهُ إياه أُفعلُ .(١٩٥)

غير ان وجه الشـبه بين هذه المُعْطَيات الاخلاقيـة لعامٌ بحيث أنَّه لا يُتيح اسـتنتاجاتٍ مفيدةً لبحثنا في " الاسرائيليات حَسَبَ ورودها في كتب التفسير مع ما يقابلها في التوراة والتلمود " ، فنكتفي بذكرها .

ننتقل الآن الى الجزء الثاني من خلق الانسان ، وهو قصةُ آدم وحواء وهبوطِهما .

---

(١٩٤) المرجع نفسـه ٩، ٧٦ .

(١٩٥) " رسالة بولس الرسول الى اهل رومة " ٧، ١٨-١٩ .

ب . - قصة آدم وحواء وهبوطهما

سأتبعُ المَنْهجَ عينه الذي سَبَقَ فنهجتُهُ حتى الآنَ ، واضعا في قصة آدم مع حواء وهبوطهما :

١. - ازائية بين نصي التوراة والقرآن ؛

٢. - ازائية بين التوراة وكتب التفسير ؛

٣. - ازائية تأليفية بين نص التوراة ونصوص كتب التفسير الموازية لقصة الكتاب المقدس ؛

٤. - فانتقل الى المقارنة بين تراث التلمود وكتب التفسير .

١٠- خلق الانسان وقصة الهبوط

في الكتاب المقدّس

سفر التكوين ، الفصل الأول

(٢٦) وقال الله لنصنع الانسانَ على صورتنا كمثالنا وليتسلطْ على سمك البحر وطيرِ السماء والبهائمِ وجميعِ الأرض وكلِ الدبابات الدابةِ على الأرض .

(٢٧) فخلق اللهُ الانسانَ على صورته على صورة الله خلقَهُ ذكرا وانثى خلقهم .

(٢٨) وباركهم الله وقال لهم آنموا وَاكثُروا وَاملأوا الأرضَ وأَخْضِعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميعِ الحيوان الدابِ على الأرض .

(٢٩) وقال الله ها قد اعطيتُكم كلَّ عُشبٍ يُبزر بزرا على وجه الأرض كلها وكلَّ شجرٍ فيه ثمرٌ يبزر بزرا يكون لكم طعاما .

(٣٠) ولجميع وحش الأرض وجميع طير السماء وجميع ما يَدِبُّ على الارض مما فيه نَفْسٌ حيةٌ جميعَ بُقولِ العُشب جعلتُها مأكلا . فكان كذلك .

في القـــرآن الكريـــم

* وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً * (٢) البقرة ٣٠ .

* هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ... * (٢) البقـرة ٢٩ .

* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ * (٧٥) القيامة ٣٧ـ٣٩ .

راجع ايضا : (٤٩) الحجرات ١٣ ، (٥٣) النجم ٤٥ ، (٩٢) الليل ٣ .

* هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٥٧) الحديد ٤ـ . راجع ايضا : (٧) الاعراف ٥٤ ، (١٠) يونس ٣ ، (١١) هود ٧ ، (٢٥) الفرقان ٥٩ ، (٣٢) السجدة ٤ ، (٥٠) قٓ ٣٨ .

(٣١) ورأى الله جميع ما صنعه فاذا هو حسن جدا .

(٣٢) وكان مساء وكان صباح يومٌ سادس .

الفصـل الثاني

(١) فأُكملت السـماواتُ والأرضُ وجميعُ جيشـها .

(٢) وفرَغَ اللهُ في اليوم السابع من عمله الذي عمِل واسـتراح في اليوم السـابع من جميع عمله الذي عمِل .

(٣) وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه اسـتراح من جميع عمله الـذي خلقه الله ليصـنعه .

(٤) هذه مبادئ السـماوات والأرض اذ خُلِقَتْ يومَ صنع الرب الالـه الارضَ والسـماوات .

(٥) وكلُّ شـجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عُشـب البرية لم ينبـت بعد لأن الرب الاله لم يكن قد امطر بعد على الارض ولم يكن انسانٌ ليحرث الارض .

(٦) وكان يَصْـعَدُ منها بُخارٌ فيسـقي جميع وجهها .

(٧) وان الرب الاله جبل الانسانَ ترابا من الارض ونفخ في أَنْفِهِ نَسَمَةَ حياةٍ فصار الانسانُ نَفْسًا حية .

(٨) وغرس الرب الاله جنةً في عَدْنٍ شرقا وجعل هناك الانسانَ الذي جبله .

(٩) وانبت الرب الاله من الارض كلَّ شجرةٍ حسنةِ المنظرِ وطيبةِ المأكلِ وشجرةَ الحياة في وَسَطِ الجنة وشجرةَ معرفةِ الخير والشر .

(١٠) وكان نهر يخرج من عَدْنٍ فيسقي الجنة ومن ثم ينشعب فيصيرُ اربعةَ أروس .

(١١) اسم أَحدِها فيشون وهو المحيط بجميع أرضِ الحَوِيلَةِ حيث الذَّهب .

(١٢) وذهب تلك الأرض جيد . هناك المُقْلُ وحجرُ الجَزْعِ .

(١٣) واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيطُ بجميع ارض الحبشة .

(١٤) واسم النهر الثالث حِدَّاقِلُ وهو الجاري في شرقيِّ أَشُّور .
والنهر الرابع هو الفُرات .

* وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ * (٢٣) المؤمنون ١٢-١٤ .

* هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ * (٤٠) غافر٦٧ .

* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ * (٣٨) ص ٧٥ .

راجع ايضا : (١٥) الحجر ٢٦ ، (١٦) النحل ٤ ، (١٩) مريم ٦٧ ، (٣٢) السجدة ٧ ، (٣٦) يس ٧٧ ، (٥٠) ق ١٦ ، (٥٥) الرحمن ٣ و ١٤ ، (٧٠) المعارج ١٩ ، (٧٦) الانسان ٢ ، (٨٦) الطارق ٥ ،(٩٠) البلد ٤ ، (٩٥) التين ٤ ، (٩٦) العلق ٢ ، (٣) آل عمران ٥٩ ، (١٨) الكهف ٣٧ ، (٢٢) الحج ٥ ، (٣٠) الروم ٢٠ ، (٣٥) فاطر ١١ ، (٣٨) ص ٧١-٧٢ .

(١٥) واخذ الرب الاله الانسانَ وجعله في جنة عَدْنٍ ليفلحها ويحرسها .

(١٦) وأمر الرب الاله الانسانَ قائلا من جميع شجرِ الجنة تأكلُ .

(١٧) واما شجرةُ معرفة الخير والشـر فلا تأكلْ منها فانكَ يومَ تأكلُ منها تمـوتُ موتـا .

(١٨) وقال الرب الاله لا يَحْسُنُ ان يكون الانسـانُ وحدَه فأَصـنعُ له عونـا بازائـه .

(١٩) وجبل الرب الاله من الارضِ جميعَ حيوانات البرية وجميعَ طير السـماء واتى بها آدمَ ليرى ماذا يسميها فكل ما سماه به آدمُ من نَفْسٍ حيـةٍ فهو اسـمه .

(٢٠) فدعا آدم جميعَ البهائمِ وطيرَ السـماءِ وجميعَ وحشِ الصـحراءِ بأَسـماءٍ . وأما آدمُ فلم يوجدْ له عونٌ بازائـه .

(٢١) فأوقع الرب الاله سُـباتا على آدمَ فنام فأَسـتلَّ إحدى اضـلاعِهِ وسـدَّ مكانها بلحـم .

* وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * (٢) البقرة ٣٥ .

راجع ايضا (٧) الاعراف ١٩ .

* وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ . قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ . قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ *

(٢) البقرة ٣١-٣٢ .

(٢٢) وبنى الرب الاله الضِلعَ التي اخذها من آدمَ أمرأةً فأتى بها آدمَ .

(٢٣) فقال آدمُ هوذا هذه المرةَ عَظْمٌ من عظامي ولحم من لحمي . هذه تسمى أمرأةً لانها من أمرئٍ اخذت .

(٢٤) ولذلك يترك الرجلُ أباهُ وامَّهُ ويَلْزَمُ أمرأتَهُ فيصيران جسدا واحدا .

(٢٥) وكانا كلاهُما عُريانَين آدمُ وأمرأتُهُ وهما لا يَخْجَلانِ .

الفصل الثالث

(١) وكانت الحية احيلَ جميعِ حيوان البرية الذي صنعَهُ الربُ الاله فقالت للمرأة أيقينا قال الله لا تأكلا من جميع شجرِ الجنة .

(٢) فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل .

(٣) واما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تَمَسَّاه كيلا تموتا .

(٤) فقالت الحية للمرأة لن تموتا .

(٥) انما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتصيران كآلهة عارفين الخير والشر .

(٦) ورأت المرأة أنَّ الشجرة طيبةٌ للمأكل وشهيةٌ للعيون وان الشجرة مُنيةٌ للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها ايضا معها فأكل .

(٧) فانفتحت اعينهما فعلما أنهما عريانان فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزرَ .

(٨) فسمعا صوتَ الرب الاله وهو متمشٍ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فيما بين شجر الجنة .

(٩) فنادى الرب الاله آدمَ وقال له اين انت .

(١٠) قال إني سمعتُ صوتَك في الجنة فخشيتُ لأني عُريانٌ فاختبأت .

(١١) قال فمن أعلمكَ أنك عريانٌ هل أكلت من الشجرة التي نهيتُكَ عن ان تأكل منها .

(١٢) فقال آدم المرأةُ التي جعلتَها معي هي أعطتْني من الشجرة فأكلت .

* مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ * (٧) الأعراف ٢٠ .

* قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * (٢٠) طه ١٢٠ .

* (١٨) وَيَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) *

(٧) الأعراف ١٩ـ ٢٤ .

(١٣) فقال الرب الاله للمرأة ماذا فعلتِ · فقالت المرأةُ الحيةُ أغوتني فأكلت ·

(١٤) فقال الرب الاله للحية اذ صنعتِ هذا فأنتِ ملعونةٌ من بين جميعِ البهائمِ وجميعِ وحشِ البريةِ على صَدْرِكِ تَسْلُكين وترابًا تأكُلين طولَ أيامِ حياتكِ ·

(١٥) واجعلُ عداوةً بينكِ وبين المرأةِ وبين نَسْلِكِ ونسلِها فهو يسحقُ رأسَكِ وأنت ترصُدين عَقِبَهُ ·

(١٦) وقال للمرأة لَأُكثِّرَنَّ مشقاتِ حَمْلِكِ بالألم تَلِدينَ البنين والى بَعْلِكِ تَنْقادُ أشواقُكِ وهو يسود عليكِ ·

(١٧) وقال لآدمَ اذ سمعتَ لصوتِ امرأتِكَ فأكلتَ من الشجرةِ التي نهيتُك قائلًا لا تأكلْ منها فملعونةٌ الأرضُ بسببكَ بمشقةٍ تأكلُ منها طولَ ايامِ حياتكَ ·

(١٨) وشوكًا وحسكًا تُنْبِتُ لكَ وتأْكُلُ عُشْبَ الصحراء ·

(١٩) بعرق وجهكَ تأكل خبزا حتى تعودَ الى الارض التي أُخِذْتَ منها لأنكَ ترابٌ والى التراب تَعود ·

(٢٠) وسمى آدمُ امرأتَه حواءَ لأنها أمُّ كلِّ حيٍّ ·

(٢١) وصنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وكساهما .

(٢٢) وقال الرب الاله هوذا آدم قد صار كواحد منا يعرف الخير والشر

والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل فيحيا

الى الدهر .

(٢٣) فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليحرث الارض التي أخذ منها .

(٢٤) فطرد آدم وأقام شرقي جنة عدن الكروبين وبريق سيف متقلب لحراسة

طريق شجرة الحياة .

الفصل الرابع

(١) وعرف آدم حواء امرأته فحملت وولدت قاين . فقالت قد رزقت رجلا

من عند الرب .

(٢) ثم عادت فولدت أخاه هابيل . فكان هابيل راعي غنم وقاين

كان يحرث الأرض .

(٣) وكان بعد ايام ان قاينَ قَدَّمَ من ثمر الأرض تقدمةً للرب .

(٤) وقدّم هابيلُ ايضا شيئا من ابكار غنمه ومن سِمانِها . فنظر الرب الى هابيل وتقدمتِهِ .

(٥) والى قاينَ وتقدمتِهِ لم ينظر . فشق على قاينَ جدا وسقط وجهُهُ .

(٦) فقال الرب لقاينَ لِمَ شق عليك ولِمَ سقط وجهُكَ .

(٧) ألا إنَّك ان احسنتَ تنالُ وإن لم تُحْسِنْ فعند الباب خطيئةٌ رابضةٌ واليك انقيادُ اشواقِها وانتَ تسودُ عليها .

(٨) وقال قاينُ لهابيلَ أَخيه لنخرجْ الى الصحراءِ . فلما كانا في الصحراء وثب قاينُ على هابيلَ أَخيه فقتَلَهُ .

(٩) فقال الرب لقاينَ اين هابيلُ اخوك . قال لا اعلم أَلَعَلِّي حارسٌ لأخي .

(١٠) فقال ماذا صنعتَ ان صوت دماء اخيك صارخٌ اليّ من الارض .

(١١) والآن فملعون انت من الأرض التي فتحت فاها لتقبلَ دماءَ اخيك من يدك .

* وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ آدَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّالِمِينَ (٢٩) . فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ (٣١) * (٥) المائدة ٢٧-٣١ .

(١٢) واذا حرثتَ الأرضَ فلا تُعطيكَ قوتَها أيضـا . تائها شـاردا تكون في الأرض .

(١٣) فقال قاينُ للرب ذنبي أَعْظَمُ من أنْ يُغْفَـرَ .

(١٤) انك قد طردتَني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك استتر واكون تائها شـاردا في الأرض فيكون أَنَّ كل من وجدني يقتُلُني .

(١٥) فقال له الرب لذلك كلُّ من قتل قاينَ فسبعةُ اضعافٍ يُقاد به . وجعل الرب لقاينَ علامةً لِئلّا يقتُلَه كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ .

(١٦) وخرج قاينُ من امام الرب فأقام بأرض نودٍ شـرقِيَّ عَدْنٍ .

(١٧) وعَرَفَ قاينُ اُمرأتَهُ فَحَمَلَتْ وَوَلَدَتْ أَخْنوخَ . ثم بنى مدينةً فسـماها باسم ابنه أَخنوخَ .

٢٠- ازائيـة بين التوراة وكتب التفسير

أقدم فيما يلي حول قصـةِ آدمَ مع حواءَ وهبوطهما ازائيـةً بين نصّ سـفر التكوين ورواياتٍ عديدةٍ اُقْتُبِسَتْها من تفسـير الطبري و " قصـــص " الثعلبـي . والخط الاحمر يشـير الى ما يمت بصـلة الى نص التوراة وبالتالي يصـح ان يُعْتَبَرَ من " الاسـرائيليات " الراجعةِ الى الكتاب المقدّس .

كتب التفسير

٠١- الطبري ، " الجامع "

ويشمل روايات عديدة نسردها فيما يلي :

-١- عن وهب بن منبه

" فحُكِيَ عن وهب بن منبه في ذلك ما حدثنا به الحسنُ بنُ يَحْيَ قال أخبرنا عبدُ الرزاقِ قال اخبرنا عمرو بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مهرب قال سمعت وهبَ بنَ منبه يقول لما أسكن اللهُ آدمَ وذريتَه او زوجته الشكُ من ابي جعفر وهو في أصل كتابه وذريته ونهاه عن الشجرة وكانت شجرةٌ غصونُها متشعبٌ بعضُها في بعض وكان لها ثمرٌ تأكلهُ الملائكةُ لِخُلْدِهِم وهي الثمرةُ التي نهى اللهُ آدمَ عنها وزوجته فلما أراد ابليسُ أَنْ يَسْتَزِلَّهما دخل في جوف الحية وكانت للحية اربعُ قوائمَ كأنها بُخْتِيَّةٌ من أَحْسَنِ دابةٍ خلقها اللهُ فلما دخلت الحيةُ الجنةَ خرج من جوفها إبليسُ فأخذ من الشجرة التي نهى اللهُ عنها آدمَ وزوجتَه فجاء به الى حواءَ فقال
فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها الى آدم فقالت انظر الى هذه الشجرة ما اطيب ريحها واطيب طعمها واحسن لونها
أنظري الى هذه الشجرة ما اطيبَ ريحَها واطيب طَعْمَها واحسنَ لونَها فأكل منها آدم فبدت لهما سوآتُهما فدخل آدم في جوف الشجرة فناداه ربُّه يا آدمُ اين أنت قال أنا هنا يا ربِّ قال ألا تَخْرُجُ قال أَستَحِي منك يا ربِّ قال ملعونةٌ الأرضُ التي

خُلِقَتْ منها لعنةٌ يتحول ثمرُها شــوكا قال ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شــجرةٌ كان افضلَ من الطَّلْحِ والسِّدْرِ ثم قال يا حواءُ انت التي غَرَرْتِ عبدي فانكِ لا تحملين حَمْلًا الا حَمَلْتِهِ كَرْهًا فاذا أردتِ أنْ تَضَــعي ما في بطنِكِ أشْــرَفْتِ على المــوت مِرارا وقال للحية أنْتِ التي دخل الملعونُ في جَوفِكِ حتى غرَّ عبدي ملعونـــةٌ أنت لعنةٌ تتحول قوائمُكِ في بَطْنِكِ ولا يَكُنْ لكِ رزقٌ الا الترابُ انت عدوةُ بني آدمَ وهمْ أعداؤُكِ حيث لقِيتِ أحدًا منهم أَخَذْتِ بِعَقِبِهِ وحيثُ لقِيَكِ شَدَخَ رأسَكِ ... "

(" الجامع " ١، ١٨٦-١٨٧)

-٢- عن ابن عباس

" وَرُوِيَ عن ابن عباسٍ نحوَ هذه القصةِ حدثني موسى بنُ هرونَ قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباطُ عن السدى في خبر ذكره عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعودٍ وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قال اللهُ لآدمَ اسكُنْ انت وزوجُك الجنة وكُلا منها رَغدًا حيث شئتُما ولا تَقْرَبا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين أراد ابليسُ ان يدخل عليهما الجنةَ فمنعته الخزنةُ فأتى الحيةَ وهي دابةٌ لها اربعُ قوائمَ كأنها البعيرُ وهي كأحسن الدواب فكلّمها ان تُدْخِلَهُ في فمها حتى تدخُلَ به الى آدمَ فأدخلَتْه في فمها فمرت الحيةُ على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما ارادَ اللهُ من الأمرِ فكَلَّمَهُ من فمها فلم يُبالِ بكلامه فخرج اليه فقال يا آدمُ هل أَدُلُّكَ على شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يَبْلى يقول هل أَدُلُّكَ على شجرة ان أكلتَ منها كنتَ مَلِكًا مثل الله عزّ وجلّ او تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا وحَلَفَ لهما بالله أنّي لكما لمن الناصحين وانما اراد بذلك ليُبْدِي لهما ما تواري عنهما من سوآتهما بهَتْكِ لباسهما وكان قد عَلِمَ أَنَّ لهما سوأةً لَمَّا كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدمُ يعلمُ ذلك وكان لباسُهُما الظُّفُرَ فأبى آدم ان يأكل منها فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت يا آدمُ كُلْ فاني قد أكلتُ فلم يَضُرَّني فلما أكل آدم بدت لهما سوآتُهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . "

(" الجامع " ١ ١٨٧)

-٣- عن محـدث

" وَحُدِّثْتُ عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن ابي جعفر عن ابيـه عن الربيع قال حدثني مُحَدِّثٌ ان الشـيطان دخل الجنة في صـورة دابة ذاتِ قوائمَ فكان يُرى أنه البعـيرُ قال فَلُعِنَ فسـقطت قوائمُه فصار حيةً " .

(" الجامع " ١، ١٨٧)

-٤- عن ابي العاليـة *

" وحُدِّثتُ عن عمار قال حدثنا ابن ابي جعفر عن أبيه عن الربيع قـــال وحدثني ابو العالية أن من الإبْلِ ما كان اولُها من الجِنّ قال فأُبيحتْ له الجنةُ كلُها إلا الشجرةُ وقيل لهما لا تَقْرَبا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمـين قال فأتى الشـيطانُ حواءَ فبدأَ بها فقال أَنُهِيتُما عن شـيء قالت نعم عن هذه الشـجرة فقال ما نَهاكُما ربّكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا مَلكَـيْنِ او تكونا من الخالدين قال فبدأت حواءُ فأكلت منها ثم أمرتْ آدمَ فأكل منها قال وكانت شـجرةٌ من أكـل منها أَحْدَثَ قال ولا ينبغي أنْ يكونَ في الجنة حَدَثٌ قال فأزالَهُما الشـــيطانُ عنهـا فأخرجَهُما مما كانا فيه قال فأُخْـرِجَ آدمُ من الجنة . "

(" الجامـع " ١ ، ١٨٨)

* يذكر " الفهرست " ٧٤ الكنية : " ابي العالية " دون غـير.هل هو المحدث ذاته ؟

-٥- عن ابن اســحق

" وحدثنا ابنُ حميدٍ قال حدثنا سَــلْمَةُ قال حدثنا ابنُ اســحقَ عن بعض أهل العلم أنَّ آدمَ حين دخل الجنةَ ورأى ما فيها من الكرامــة وما أعطـــــاه اللهُ منها قال لو أنَّ خُلْدًا كان فاغتَنَمَها منه الشــيطانُ لمَّا سمِعَها منــه فأتـــاه من قِبَلِ الخُلْدِ . "

(" الجامع " ١، ١٨٨)

-٦- عن ابن اسـحق

" وحدثنا ابنُ حميد قال حدثنا سَلْمَةُ عن ابنِ إسحقَ قال حُدِّثْتُ أنَّ أوَّلَ ما ابتدأهُما به من كَيْدِهِ إياهُما أنَّهُ ناح عليهما نياحةً احزنَتْهُما حين سَمِعاها فقالا له ما يُبْكيكَ قال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في انفسهما ثم اتاهما فوسوس اليهما فقال يا آدمُ هل أدُلُّكَ على شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يَبْلَى وقال ما نهاكُما ربُّكُما عن هذه الشجرة الا ان تكونا مَلَكَيْنِ او تكونا من الخالدين وقاسَمَهُمَا إنِّي لكما لمن الناصحين أي تكونا مَلَكَيْنِ او تَخْلُدا ان لم تكونا مَلَكَيْنِ في نعمة الجنة فلا تموتان يقول الله جلَّ ثناؤه فدلّاهُما بغرور . "

(" الجامع " ١، ٨٨)

-٧- عن ابن زيـــد

" وحدَّثني يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى قال أَخبَرَنا ابن وهب قال قال ابن زيـــد وسوس الشيطانُ الى حواءَ في الشجرةِ حتى اتى بها اليها ثم حَسَّنها في عينِ آدم قال فدعاها آدمُ لحاجته قالت لا إلّا أَنْ تأتيَ هـهنا فلما اتى قالت لا إلّا أَنْ تأكلَ من هذه الشجرةِ قال فأكلا منها فبدت لهما ســوآتُهُما قال وذهـــب آدم هاربا في الجنة فناداه ربُّهُ يا آدمُ أمِنّي تَفِرّ قال لا يا ربِّ ولكن حيـــاءً منـك قال يا آدمُ أَنّي أُتيتَ قال من قِبلِ حواءَ أي ربِّ فقال الله فإنَّ لها علـــيَّ ان أُدْمِيها في كل شهـر مرةً كما أُدْمِيَتْ هذه الشجرةُ وان أَجْعَلَها سفيهةً فقد كنتُ خلقتُها حليمةً وأَنْ أَجْعَلَها تحمِلُ كَرْهًا وتَضَعُ كَرْهًا فقد كنتُ جعلتُها تحمِلُ يُسرا وتضـعُ يُسُــرا قال ابن زيد ولولا البليةُ التي اصابت حواءَ لكان نســاءُ الدنيــا لا يَحِضْــنَ وَلَكُنَّ حليماتٍ وكُنَّ يَحْمِلْنَ يُسُــرا ويَضَــعْنَ يُسُــرا . "

(" الجامــع " ١، ١٨٨)

-٨- عن سـعيد بن المسـيب *

" وحدثنا ابنُ حميدٍ قال حدثنا سَـلْمَةُ عن محمد بن اسـحق عن يزيد بن عبد الله بن قسـيط عن سعيد بن المسيب قال سمعتُه يَحْلِفُ بالله ما يسـتثني ما أَكَلَ آدمُ من الشجرةِ وهو يعقِلُ ولكنْ حواءُ سـقَتْهُ الخمْرَ حتى اذا سـكِرَ قادَتْهُ إليها فأكَـلَ . "

(" الجامع " ١،٨٨)

* سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي وهب المخزومي القرشي ، ابو محمد ، تابعي وأحدُ الفقهاءِ السبعةِ بالمدينة . حَفِظَ احكامَ عمر بن الخطـاب . توفي في المدينة . (١٣-٩٤/ ٦٣٤-٧١٣) . (راجـع فيـه " الطبقـات " ٥،٨٨) .

-٩-عن ابن عبـــاس

" وحدثنا ابنُ حميدٍ قال حدثنا سَلَمَةُ عن ابنِ إسحق عن ليثٍ بن ابي سليم عن طاوسَ اليماني عن ابن عباس قال إنَّ عدُوَّ اللهِ ابليس عَرَضَ نفسَهُ على دوابِ الارْضِ أنها تحمِلُه حتى يدخلَ الجنةَ معها ويكلمَ آدمَ وزوجتَـــهُ فكلُّ الدوابِ أبى ذلك عليه حتى كلَّمَ الحيةَ فقال لها أَمْنَعُكِ من ابنِ آدمَ فأنتِ في ذِمَّتي إنْ أنتِ أَدْخَلْتِني الجنةَ فجعلَتْهُ بين نابَيْنِ من انيابها ثم دخلَتْ به فكلَّمَهُما من فيها وكانت كاسيةً تمشي على أربعِ قوائمَ فأعراها اللهُ وجعلَهـا تمشي على بطنها قال يقول ابن عباس اُقْتُلوها حيث وجدتُموها اَخْفُروا ذِمَّةَ عدوِّ الله فيها . "

(" الجامع " ١، ١٨٨)

-١٠- عن ابن اســحق

" وحدثنا ابنُ حميدٍ قال حدثنا سَـلْمَةُ قال قال ابنُ اسـحقَ وأَهْلُ التوراةِ يَدْرُسـونَ إنما كلـم آدمُ الحيةَ ولم يفسـروا كتفسـير ابن عبـاس . "

(" الجامع " ١، ١٨٨)

-١١- عن محمد بن قيس

" وحدّثنا القاسمُ قال حدّثنا الحسين قال حدّثني حجاج عن ابي معشر عن محمد بن قيس قال نهى اللهُ آدمَ وحواءَ أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ويأكلا منها رَغَدًا حيث شاآ فجاء الشيطانُ فدخل في جوف الحية فكلم حواءَ ووسوس الشيطانُ الى آدمَ فقال ما نهاكُما ربكُما عن هذه الشجرة الا ان تَكونا مَلَكَيْن او تكونا من الخالدين وقاسَمَهُما إنّي لكما لمن الناصحين قال فعضت حواءُ الشجرةَ فَدَمِيَتْ الشجرةُ وسقط عنهما رياشُهُما الذي كان عليهما وطفِقا يخصِفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربُهما ألم أنهَكُما عن تِلكُما الشجرةِ وأقُلْ لكما ان الشيطان لكما عدوٌّ مبينٌ لِمَ أكَلْتَها وقد نهيتُك عنها قال يا ربِّ أطعَمَتْني حواءُ قال لِحواءَ لِمَ أطْعَمْتِهِ قالت أمَرَتْني الحيةُ قال للحيةِ لِمَ أمَرْتِها قالت أمَرَني إبليسُ قال ملعونٌ مدحورٌ أما انتِ يا حواءُ فكما أدْمَيْتِ الشجرةَ فَتَدْمَيْنَ في كل هِلال واما أنتِ يا حيةُ فأقْطَعُ قوائِمَك فتمشين جريا على وَجْهِك وسيشدَخُ رأسَكِ من لَقِيَكِ بالحجر اهْبِطوا بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ . "

(" الجامع " ١، ١٨٨-١٨٩)

٥٢- الثعلبي ، " قصص الأنبيـاء "

" في ذكر امتحان اللهِ تعالى آدمَ عليه السلام وما كان منه في ذلـــك .

قال أهل التاريخ : لما اسكن اللهُ تعالى آدمَ وحواءَ عليهما السلامُ الجنةَ أباحَ لهما نعيمَ الجنة كلِّها الا شجرةً واحدة ، وذلك قوله تعالى * وَقُلْنَا يَـا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ * الى قوله * فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ * . واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرةُ المحنة ما هي ؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه : هي شـجرة الكافور . وقال قتادة : هي شجرة العِلْم وفيها من كل شيء علامة ؛ وقال محمد بن كعب ومقاتل : هي السُّنبلة ، وقيل هي الحِنْطة ، وقيل هي الكَرْمة . فوسوس لهما الشيطانُ حتى زيَّنَ لهما الشجرةَ فأكلا ما نهاهُما ربُّهُما عن أكْلِهِ من ثمرة تلك الشجرة ، وحَسَّنَ لهما معصيةَ اللهِ تعالى في ذلك حتى أكلا منها ، وكان وصولُ عدوِّ الله ابليسَ اليهما وتزيينُهُ ذلك لهما على ما ذكره اصحابُ الاخبار ، أن ابليسَ اراد ان يدخـل الجنةَ لِيُوَسْوِسَ لآدم وحواء ، فمنعه الخزنةُ من ذلك ، فأتى الحية وكانت من أحسـنِ الدواب التي خلقها الله تعالى ، لها اربعةُ قوائمَ كقوائمِ البعير ، وكانـت من خُزّان الجنة وكانت لابليسَ صديقةً ، فسألها ان تُدْخِلَهُ الجنة في فيها ، فأدخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة ، وكان قد دخل مع آدم الجنة ،

ولما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة ، فقال : طَيِّبٌ لو كان خُلْـدًا ، فاغتنـم ذلك الشيطانُ منه فأتاه من قِبَلِ الخُلْدِ ، وقيل إِن ابليسَ لما سـمع بدخول آدمَ الجنةَ حَسَدَه وقال : يا ويلاه انا اعبدُ اللهَ منذ كذا وكذا الفِ سَنَةٍ ولم يُدْخِلْني الجنة ، وهذا خُلْقٌ خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة ، فاحتال في اخـــراج آدمَ عليه السلام من الجنة ، فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمِائةَ سنةٍ هنالك حـتى اشـتهر بالعبادة وعرفوه بها ، وهو في كل ذلك ينتظر خروجَ خارجٍ من الجنـــــة يتوصل به الى آدم ، فمكث على باب الجنة ثلثمائةَ سنةٍ لا يأذن الله تعالى فـــي خروج خَلْقٍ منها ، فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوسُ وكان سيدَ طيور الجنة ، فلما رآه ابليس قال له :ايها الخَلْقُ الكريم من انت وما اسمك . فما رأيت من خلق الله احسـنَ منك ؟ قال : انا طائرٌ من طيور الجنة اسمي طاوس ، فبكى ابليس ، فقال لـــــه الطاوس ، من انت ومم بُكاؤُك ؟ فقال له ابليس : أنا ملَك من الملائكة الكروبيـين ، وانما بكيت تأسفا على ما يفوتُك من حسنك وكمالِ خِلْقَتك ، فقال له الطاوس ايفوتُـــني ما أنا فيه ؟ قال : بلى ، وإنك تَفْنى وتَبيدُ وكلُّ الخلائق يبيدون الا مَنْ تناول من شجرة الخلد فانهم المُخَلَّدون من تلك الخلائق ، فقال الطاوس : واين تلك الشجرةُ ؟ قال ابليس : هي في الجنة ، قال الطاوس : ومن يَدُلُنا بمكانها ؟ قال ابليس : انا أَدُلُّك عليها إن أَدخلتَني الجنة ، قال الطاوس : كيف لي بادخالك الجنـة ولا سـبيل الى ذلك لمكان رَضوان فانه لا يدخل الجنة احدٌ ولا يخرج منها احـدٌ الا

باذنه ، ولكنْ سأدُلُّكَ على خَلْقٍ من خَلْقِ الله تعالى يُدْخِلُكَها ، فانه ان قدر على ذلك احدٌ فهو هو دون غيرِه ، فانه خادمُ خليفةِ الله تعالى آدمَ ، قال : ومن هو ؟ قال : الحية ، قال له ابليس : فبادِرْ اليها فإنَّ لنا فيه سعادةَ الأبد لعلَّها تَقْدِرُ على ذلك . فجاء الطاوسُ الى الحية واخبرها بمكان ابليس وما سمع منه ، وقال : إني رأيت بباب الجنة ملَكا من الكروبيين من صفته كَيْتَ وكَيْتَ ، فهل لكِ أَنْ تُدْخِليه الجنةَ لِيَدُلَّنا على شجرة الخلد ، فاسرعت الحية نحوه ؛ فلما جاءَتْه قال لها ابليسُ نحوًا من مقالتِه للطاوس ، فقالت : كيف لي بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يُمَكِّنْكَ من دخولها ؟ فقال لها : اتحول ريحا فتجعليني بين انيابك ، قالت : نعم ؛ فتحول ابليسُ لعنه الله ريحا ودخل في فم الحية فأدخلته الجنة . فلما دخل ابليسُ الجنةَ أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدمَ ، وجاء حتى وقف بين يدي آدمَ وحواءَ عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه ابليسُ ، فناح عليهما نِياحةً احزنتهما فبَكَيا ، وكان اولَ من ناح ، فقالا له : ما يُبكيك ؟ فقال : أبكي عليكما ، تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعيم والكرامة ، فوقع ذلك في انفسهما وأَنْغما لذلك ، وبكى ابليس ومضى . ثم إنّ ابليس اتاهما بعد ذلك وقد أثَّر قولُه فيهما ، فـ * قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ * ؟ قال : نعم ، قال : كُلْ من هذه الشجرة شجرة الحنطة ، فقال : نهاني ربي عنها ،

ف * قَالَ * ابليس : * مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ * فأبى أَنْ يَقْبَلَ منه ، فأقسم لهما بالله إنه لهما لمن الناصحين ، فَاغْتَرَّا بذلك وما كانا يُظنان أَنَّ احدا يَحْلِفُ بالله كاذبا ، فبادرت حواء الى أكل الشجرة ، ثم زينت لآدمَ حتى اكلها .

روى محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال : سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول : سمعت أبي يقول : سمعت جدي يقول : سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثني ، ان آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقلُ ، ولكنْ حواءُ سقَتْهُ الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل ، ولذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم " الخمرُ مجمعُ الخبائث وأمُّ الذنوب " ويقال : لما قال الله تعالى لآدم وحواء * لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ * قالا نعم لا نقربُها ولا نأكل منها ، ولم يستثنيا في قولهما بمشيئة الله تعالى ، فوكلهما الله تعالى الى انفسهما حتى اكلا المَنهيَّ عنها . وقال : سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول : سمعت ابرهيم بن الاشعث يقول : سمعت ابرهيم بن ادهم يقول : لقد أورثتنا تلك الأكلةُ حزنا طويلا . وقال الشبليّ : اول الدنّ دردىّ ، هذا ابونا آدمُ باع ربه بكفٍّ من حنطة ، فلما اكل من الشجرة المَنْهيِّ عنها ابتلاه الله بعشرة اشياء : الاولى معاتبته اياهما على ذلك بقوله * أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ

وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * ، والثانية الفضيحة ، فانه لما أصابا الذنبَ بدت لهما سوآتُهما وتهافتَ عنهما ما كان عليهما من لِباس الجنة ، فتحير آدم وصار هاربا في الجنة فتلقَتْه شجرةُ ٱلعُنّاب ، فأخذت بناصيته وناداه ربُّه أفرارا مني يا آدم ؟ قال : بلى يا ربِّ ولكن حياءً منك ، ولذلك قيل : كفى بالمُقصِّر حياءٌ يومَ القيامة ، ويروى ان آدم لما بدت سوأتُه وظهرت عورته طاف باشجار الجنة يسأل منها ورقةً يغطي بها عورتَه ، فزجرته اشجارُ الجنة حتى رحمته شجرةُ التين ، فأعطته ورقة ، فطفقا : يعني آدمُ وحواءُ * يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ * فكافأ الله التينَ بأن سوّى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة ، واعطاه الله ثَمْرتين في كل عام . والثالثة أوْهَنَ جِلْدَهُ وصيره مظلما بعد ان كان جِلدُه كلُّه كالظِفْر وأبقى عليه من ذلك قَدْرا يسيرا على انامله ليتذكر بذلك أَوَّلَ حاله . والرابعة اخرجه من جِواره ونودي إنَّه لا ينبغي ان يُجاوِرَني مَن عصاني ، فذلك قوله تعالى * ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ * الآية : يعنى آدمُ وحواءُ وابليسُ والحيةُ والطاوسُ . فهبَط آدمُ بسرنديب من ارض الهند ، وقيل على جبل من أرض الهند ، وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود ، وقيل : واسم . وحواء بجُدَّةَ بلدٍ من أرض الحجاز . وابليس بالأَبْلةِ من أرض العراق وهي بالبصرة ، وقيل مَشان . والحية باصبهان . والطاوس بأرض بابل .

ويقال : إن الحكمة في اخراج آدم من الجنة أنّه كان في صُـلْبه مَنْ لا يستحق الولايةَ ولا يَصْلُحُ لحظيرة القدس ، فاذا اخرجهم من صُلْبه اعاده الله اليها خالدا فيها . ويقال إن الله تعالى أُخرج آدم من الجنة قبل ان يُدْخِله فيها ، وذلك قوله تعالى * إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً * ولم يقل في الجنة . اخبرنـــي نافل بنُ أذفر بن احمد باسناده عن عثمان بن علية قال : سمعت الوضـــينَ بنَ عطاء يذكر ان آدم قال : كنا نَسْلا من نَسْلِ الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض ، فلا ينبغي لنا الفرحُ في الدنيا ، ولكنْ الحزنُ والبكاءُ ما دمنا في دار السباءِ حتى نُرَدَ الى الدار التي سُبينا منها . وقال الشـاعر :

يا ناظِرًا يرنو بعينَيّ راقدٍ ومُشاهِدُ الأيامِ غَيْرُ مشـاهِدِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ وَصْلَةً فأَبَحْتَها سُبُلَ الرجاءِ وَهُنَّ غيرُ قواصِدِ
تَصِلُ الذُنوبَ الى الذُّنوبِ وتَرْتَجِي دَرَجَ الجِنانِ بها وَفَوْزَ العابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدما مِنْها الى الدنيا بِذَنْبٍ واحِدِ

والخامسة : الفُرْقَةُ ، فُرِّقَ بينه وبين حواء مِائةَ سنةٍ هذا بالهند وهذه

بِجُدَّةَ ، فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبَه حتى قَرُبَ احدُهما من صاحبه فازدلفا فسميت المُزْدَلِفة ، واجتمعا بجمع فسمي جمعاء وتعارفا بعَرَفة في يوم عَرَفَة ، فسمي الموضعُ عَرَفاتٍ واليومُ عَرَفَةٌ • السادسة : العداوة ، ألقى بينهم العداوةَ والبَغْضاء كما قال الله تعالى * بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ * فالانسان عدو الحية يشدَخُ رأْسها حيث يَراها ، والطاوس عدوه ، والحية عدوتُه تلدُغُه اذا امكنها ، وابليس عدو لهم جميعا • وفيه إشارة الى أَنَّ الاحبابَ اذا اجتمعوا وتعاونوا على مَعْصية أَعْقَبَتْ مَعْصِيَتُهم عداوةً ، كما قال الله تعالى * اَلْاَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا اَلْمُتَّقِينَ * والسابعة : النداء عليهم باسم العُصْيان قال الله تعالى * وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * •

ورُوِي أَنَّ ابرهيم عليه السلام تفكر ذاتَ ليلةٍ من الليالي في أمر آدمَ فقال : يا ربُّ خلقت آدمَ بيدك ونفختَ فيه من روحِك واسجَدْتَ له ملائكتَك وأسكنتَه جنتَك بلا عمل ، ثم بزَلَّةٍ واحدةٍ ناديتَ عليه بالمَعْصِيةِ واخرجتهمن جِوارك من الجنة ، فأوحى الله تعالى اليه : يا ابراهيمُ اما علِمت انمخالفةَ الحبيبِ على الحبيبِ أمرٌ شديدٌ ؟ والثامنة : تسليط العدو على اولاده ، وهو قوله تعالى * وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ * الآية • والتاسعة : جَعْلُ الدنيا سِجْنا له ولأولاده وابتلاؤُه بهواءِ الدنيا ومقاساة البردِ والحرِ فيها ، ولم يكن له

بهما عهدٌ لِتَعَوُّدِ هواءِ الجنة ، وهو كما قال الله تعالى * لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الجنة سَجْسَجٌ لا حَرٌّ فيها ولا قرٌّ " . العاشرة التعب والشقاء ، وذلك قوله تعالى * إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * فهو اول خَلْقٍ عَرِقَ جبينُه من التعب والنصب .

(فصل) وابتليت حواء وبناتُها بهذه الخصال ، وبخمسِ عشرةَ خصلةً سُواهُنَّ : الأولى الحَيْضُ ، يروى أَنها لما تناولت الشجرةَ دَمِيَتْ الشجرة ، قال الله تعالى : إن لك علي ان أُدْمِيَكِ أنت وبناتِكِ في كل شهر مرةً كما أَدْمَيْتِ هذه الشجرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحَيْض " إن هذا شيءٌ كتبه الله تعالى على بناتِ آدم " . الثانية : ثِقَلُ الحَمْلِ . الثالثة : الطَلْقُ وألم الوضع ، قال الله تعالى * حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا * وفي الخبر : لولا الزلةُ التي اصابت حواءَ كان النساء لم يَحِضْنَ وَلَكُنَّ حليماتٍ ، وكُنَّ يَحْمِلْن يُسْرًا ويضعن يُسْرًا . الرابعة : نُقْصان دينها . الخامسة : نُقْصان عقلها . عن ابي سعيد في حديث ذكره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرجل الحازمِ من إحداكُن ، فقلن له : وما نُقصانُ عقلنا وديننا يا رسولَ الله ؟ قال : أليس شهادةُ المرأة بنصف شهادة

الرجل ، فذلك نُقصان عقلها ، أو ليس اذا حاضت المرأة لم تُصَلِّ ولم تَصُم ؟ قلن بلى ، قال : فلذلك نُقصانُ دينها " . السادسة : إن ميراثها على النصف من ميراث الرجل ، قال الله تعالى * لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ * . السابعة : تخصيصُهم بالعُدَّة . الثامنة جَعْلُهُنَّ تحت ايدي الرجال كما قال تعالى * ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ * وقال عليه الصلاة والسلام : " ٱسْتَوْصُوا بالنساء خيرا فانهن عَوارٍ عندكم " . التاسعة : ليس لهن من الطلاق شيءٌ ولا يَملِكْنَ ذلك وانما هو للرجال . العاشرة : حِرْمُهن الجهاد . الحادية عشرة : ليس منهن نبيٌّ . الثانية عشرة : ليس منهن سلطانٌ ولا حاكمٌ . الثالثة عشرة : لا تسافر إحداهُن الا مع ذي رَحِمٍ مُحَرَمٍ . الرابعة عشرة : لا تنعقد بهن الجمعةُ . الخامسة عشرة : لا يُسَلَّمْ عليهن . وعاقب ابليسَ لعنه الله تعالى بعشرة اشياء . أولها : عزلُه من الولاية ، وكان له ملكُ الأرض وملك سماء الدنيا وكان خازنَ الجنة . الثانية : أخرجه من جِواره وأَهْبَطَه الى الارض . الثالثة : مسخَ اللهُ صورتَه فصيَّرَهُ شيطانا بعد ما كان مَلَكا . الرابعة : غَيَّرَ ٱسمَه وكان ٱسمُهُ عزازيل فسماه ابليس ، لأنه أبلس من رحمة الله تعالى . الخامسة : جعله إمامَ الاشقياء . السادسة : لعنه الله . السابعة : نزع منه المعرفة . الثامنة : أغلق عنه بابَ التوبة . التاسعة : جعله مَريدًا : أيّ خاليا من الخير والرحمة . العاشرة : جعله خَطيبَ أهلِ النار .

وعاقب الحية بخمسة أشـياء : قطع قوائمها وامشـاها على بطنها ومسـخ صورتها بعد ان كانت احسنَ الدّواب ، وجعل غِذاءَها الترابَ ، وجعلهـا تمـوت كلَّ سنةٍ بالشتاء ، وجعلها عدوةَ بني آدم ، وهم اعداؤها حيثما يَرَوْنَها يقتلونها ، وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلَها في الصلاة وفي حال الإِحرام ، عن ابي هُرَيْرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . " ما سالمناهن منذ حاربناهن ، مَنْ تَرَكَ شيئا منهن [الحيات] خِيفةً منه [ابليس] فليس مني " يعنى الحيات ، اخبرنا ابن ( ) * قال : حدثنا عبدالله بن يونُس قال : أخبرنا داودُ عن محمد عن ابي الأعـين المُعَبديّ عن ابى الاحوص الحسنيّ ، قال : بينما ابن مسعودٍ يخطب ذات يـوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خِطْبَتَه ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ، ثم قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول " من قتل حيّة فكأنما قتل رجلا مشـركا قد حُلَّ دمُهُ " . "

(" قصص الأنبيـاء " ٣٠-٣٤)

* " بياض بالأصل " : ملاحظة من الناشر في الهامش من الطبعة ، ص ٣٤ .

الاســـتنتاجات :

ان مجرد المقارنة بين النصوص يمدنا بالاثباتات التالية :

١) لا القرآنُ ولا كتابُ التفسير للطبري وقصصِ الثعلبي في الفقرات المنقولـــة توافق نص الكتابِ المقدس موافقة واضحة ؛

٢) ربما اتى اسلوبُ وهب بن منبه وكذلك اسلوبُ ابي العالية - او على الأقل ما ينسب اليهما - اقربَ ما يكون لنص التوراة ؛ وكلما ابتعدنا عن هذه الرِوايات القديمة كلما اتت الرواياتُ الحديثةُ نسبيا اكثرَ غرابةً عن نصـوص التوراة والتلمود ، كما هو ظاهر في " قصص الانبياء " للثعلبي ؛

٣) غير ان اصداءً او ذكرياتٍ او حتى رِواياتٍ حول الاحداثِ الرئيسيةِ الموجودةِ في الفصل الثالث من سفر التكوين نحظى بها مبعثرةً هنا وهناك عنـــد المفسرين ، بخاصة في روايات " الجامع " ؛

٤) هذا مما يؤهلنا الى اعادة تنضيد رِواية التوراة تنضيدًا يكاد يأتي كاملا ، كما يظهر فيما يلي ، من الآية ١ الى الآية ٢٤ في الفصل الثالث من سفر التكوين .

الكتـــاب المقـــدّس

سفر التكوين ، الفصل الثالث

(١) وكانت الحية أحيلَ جميع حيوان البرية الذي صـنعه الرب الاله فقالـت للمرأة ايقينـا قال الله لا تأكـلا من جميع شـجر الجنة .

(٢) فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل .

(٣) واما ثمر الشجرة التي في وسَط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تَمَساه كيلا تموتـا .

(٤) فقالت الحية للمرأة لن تموتـا

(٥) انما الله عالم أنكما في يومٍ تأكلان منه تنفتح اعيُنكما وتصيران كآلهــة عارفَيِ الخيرِ والشـرّ .

(٦) ورأت المرأة ان الشجرةَ طيبةٌ للمأكل وشهيةٌ للعيون وان الشجرة مُنْيَـةٌ للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضا معها فأكل .

(٧) فانفتحت اعينُهُما فعلِما انهما عُريانانِ فخاطا من ورق التـين وصـــنعا لهما منه مآزرَ .

(١) لما أراد ابليس ان يستزلهما دخل في جوف الحية وكانت للحية اربع قوائم كأنها بختية من احسن دابة خلقها الله ... ("الجامع" ١، ١٨٧، سطر 1-2) فأتى الشيطان حواء فبدأ بها فقال أنهيتما عن شيء

(٢) قالت نعم عن هذه الشجرة فقال

(٣) فقال (ابليس وهو في الحية) يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يقول هل أدلك على شجرة ان أكلت منها كنت ملكا مثل

(٤) الله عز وجل او تكونا من الخالدين فلا تموتان ابدا ("الجامع" ١، ١٨٧، سطر 20-21)

(٥) ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين .

(٦) قال فبدأت حواء فأكلت منها ثم امرت آدم فأكل منها (" الجامع " ١، ١٨٧ سطر 30 ، ١٨٨، سطر 1-2) فأخذ (ابليس) من

(٨) فسمعا صوتَ الرب الاله وهو متمشٍ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدمُ وامرأتُه من وجه الرب الاله فيما بين شجر الجنة ·

(٩) فنادى الربُّ الالهُ آدمَ وقال له اين انت ·

(١٠) قال إنّي سمعت صوتَك في الجنة فخَشِيتُ لأني عُريانٌ فاختبأت ·

(١١) قال فمَن أعْلَمَكَ أنك عريانٌ هل اكلت من الشجرة التي نَهَيْتُك عن ان تأكل منها ·

(١٢) فقال آدمُ المرأةُ التي جعلتَها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت ·

(١٣) فقال الرب الاله للمرأة ماذا فعلت · فقالت المرأة الحيةُ اغوتني فأكلت ·

(١٤) فقال الرب الاله للحية اذ صنعتِ هذا فأنت ملعونةٌ من بين جميع البهائم وجميعِ وحش البرية على صدرك تَسلُكين وتُرابا تأكلين طول ايام حياتك ·

(١٥) واجعل عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلِكِ ونسلها فهو يسحق رأسَك وانت ترصُدين عَقِبَه ·

الشجرة التي نهى الله عنها آدمُ وزوجتَه فجاء به الى حواء فقال انظري الى هذه الشجرة ما اطيبَ ريحَها واطيبَ طعمَها واحسنَ لونَها ٠

(٧) فأكل منها آدم فبدت لهما سوآتُهُما فدخل آدم في جوف الشـــجرة

(" الجامع " ١، ١٨٧ ، سطر 3-6)

فلما أكل آدمُ بدت لهما سوآتُهُما وطفِقا يَخصِفان عليهما مـــن ورق الجنة (" الجامع " ١، ١٨٧ ، سطر 24-25)

(٨) وذهب آدم هاربا من الجنة فناداه ربه يا آدم امنّي تفِر قال لا يا رب ولكن حياءً منك قال يا آدم أنّى أُتِيتَ قال من قبل حواء اي ربِّ

(" الجامع " ١، ١٨٨ ، سطر 15-16)

(٩) فناداه ربه يا آدمُ اين انت قال انا هنا يا ربِّ قال الا تخرج

(١٠) قال أَستَحِي منك يا رب (" الجامع " ١، ١٨٧ ، سطر 6-7)

(١١) وناداهُما ربُّهما ألَمْ أنْهَكُما عن تلكما الشجرةِ وأَقُلْ لكما إنَّ الشـيطان

(١٢) لكما عدوٌّ مبينٌ لِمَ اكلتَها وقد نهيتُك عنها قال يا ربِّ اطعمَتْني حواءُ

(١٣) قال لحواءَ لِمَ أَطْعَمْتِهِ قالت أَمَرَتْني الحيةُ ٠ (" الجامع " ١، ١٨٩ سطر 4-6)

(١٦) وقال للمرأة لأُكثِرَنَّ مشقاتِ حَمْلِكِ بالألم تلدين البنين والى بعلك تنقادُ اشواقُكِ وهو يسود عليكِ .

(١٧) وقال لآدم اذ سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي نهيتُك قائلا لا تأكل منها فملعونة الارضُ بسببك بمشقة تأكل منها طول ايام حياتك .

(١٨) وشوكا وحَسَكا تُنْبِتُ لك وتأكل عُشب الصحراء .

(١٩) بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الارض التي أخذت منها لأنك ترابٌ والى التراب تعود .

(٢٠) وسمّى آدمُ امرأتَه حواءَ لأنها امُّ كلِّ حيٍّ .

(٢١) وصنع الرب الاله لآدم وامرأته اقمصةً من جِلْدٍ وكساهُما .

(٢٢) وقال الرب الاله هوذا آدم قد صار كواحد منا يعرف الخير والشر والآن لَعَلَّهُ يمد يدَه فيأخذُ من شجرة الحياة ايضا ويأكلُ فيحيا الى الدهر .

(١٤) وقال للحية انت التي دخل الملعونُ في جوفك حتى غرّ عبديَ ملعونةٌ

انت لعنةٌ تتحول قوائمُك في بطنك ولا يكن لك رزقٌ الا التـــرابَ

(" الجامع " ١، ١٨٧ ، سطر 10-11)

وأما انتِ يا حيةُ فأَقْطَعُ قوائمَكِ فتمشين جريا على وجهِـك وسـيُشْـدَخُ رأسـكِ من لَقِيَكِ بالحجر اهبُطوا بعضُكُم لبعضٍ عدوٌّ (" الجامع " ١، ١٨٩، سطر 7-8)

(١٥) انتِ عدوةُ بني آدم وهُمْ اعداؤُكِ حيث لقِيتِ احدًا منهم أَخَذتِ بعَقِبِـــه وحيث لَقِيكِ شدخُ رأسَـكِ (" الجامع " ١، ١٨٧ ، سطر 11-12)

(١٦) قال يا حواءُ انتِ التي غررتِ عبديَ فإنك لا تحمِلين حَمْلا إلا حَمَلْتِهِ كُرْهـًا فاذا اردتِ أن تضعي ما في بطنِك اشـرفتِ على الموتِ مرارًا (" الجامع " ١، ١٨٧ ، سطر 8-10)

جعلهن تحت ايدي الرجال (" قصص ... " ٣٤)

(١٧) قال ملعونةٌ الأرضُ التي خُلِقْتَ منها لعنةٌ يتحول ثمرُها شوكا (" الجامع " ١، ١٨٧ ، سطر 7)

(٢٣) فأخرجه الربُّ الالهُ من جنة عَدْنٍ ليحرثَ الأرضَ التي أُخِـــذ منهـــا .

(٢٤) فطرد آدمَ وأقام شــرقيَّ جنةِ عَدْنٍ الكروبــين وبريقَ ســـيفٍ متقلِّبٍ لحراســة طريقِ شجرة الحياة .

(١٨) آدم هو اول خلق عرق جبينه من التعب والنصب (" قصص ... ٣٣)

(١٩)

(٢٠) سميت حواء (...) لانها خلقت من شيء حي (" الجامع " ١، ١٨٢، سطر 16 . راجع ايضا " قصص الانبياء " ٢٩) .

(٢١)

(٢٢)

(٢٣)

(٢٤) فأُخرِجَ آدمُ من الجنة (" الجامع " ١، ١٨٨، سطر 3-4)

رواية وهب بن منبـه

رواية ابي العاليـة

رواية ابن عبـاس

رواية ابن زيـد

رواية محمد بن قيس

ج ٠- قصة آدم وحواء بين التلمود وكتب التفسير

وننتقل اخيرا الى التحري عن قصة آدم مع حواء وهبوطهما في التلمود وكتب التفسير ٠ ولقد عثرت على اربعةِ مواضيعَ تصلح المقارنةُ بخصوصها :
١) في شجرة المحنة ؛ ٢) في سَقْيِ حواءَ آدمَ الخمرَ ؛ ٣) في الأعمال التي قام بها آدمُ بعد هبوطِه ؛ ٤) في ثَوْرِ آدم ٠

١) في شجرة المحنة ٠- كان لا بد ان تَشْغَل بالَ المفسرين يهودا ومسلمين ، ولقد شغلَتْهم بالفعل ٠ ولقد جمع الطبري اقوالَ الرُّواة ؛ فقال بعضهم إنها " السنبلةُ " او ~~الحنطة وقال آخرون إنها~~ أو " البرُّ " ، ومنهم من ذهب الى القول بأَنها " الكرمةُ " او " الكرمُ " او " العنبُ " أو " شجرةُ الخمر " ؛ وزعمت فئةٌ رابعةٌ بأنها " التينةُ " (١٩٦) ٠ ونعثر

---

(١٩٦) " الجامع " ١، ١٨٣-١٨٥ ٠- راجع ايضا : ١٠٦٨ ٠- كذلك : " قصص الانبياء " ٣٠-٣١ ؛ " الكشاف " ١، ١٢٧ ٠- وأمام

في التلمود البابلي على التنوع عينه ~~ما عدا شجرة البرّ~~ . فقال بعض المعلمين

---

(١٩٦) تابع

تضارب الآراء في تحديد نوع شجرة المحنة يعلق الطبري على هذا النمط من التفسير تعليقا يستحق النقلَ هنا : " والقول في ذلك عندنا ان الله جل ثناؤه اخبر عِبادَه ان آدمَ وزوجَه اكلا من الشجرة التي نهاهُما ربُّهما عن الاكل منها فأتيا الخطيئةَ التي نهاهُما عن إتيانِها باكلهما ما اكلا منها بعد ان بين اللهُ جل ثناؤُه لهما عينَ الشجرةِ التي نهاهما عن الاكل منها واشار لهما اليها بقوله ولا تقرَبا هذه الشجرةَ ولم يضع الله جل ثناؤُه لعباده المخاطَبين بالقرآن دلالةً على أي اشجارِ الجنة كان نهيُه آدمَ ان يَقرَبها بنص عليها باسمها ولا بدلالة عليها ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أي رضًا لَمْ يُخْلِ عِبادَه من نَصْبِ دلالةٍ لهم عليها يَصِلون بها الى معرفة عينها ليُطيعوه بعلمهم بها كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضًا فالصواب في ذلك ان يُقالَ إن الله جل ثناؤُه نهى آدمَ وزوجتَه عن اكل شجرة بعينها من اشجار الجنةِ دون سائرِ اشجارها فخالفا الى ما نهاهما اللهُ عنه فأكلا منها كما وصفهما اللهُ جلَّ ثناؤه به ولا عِلْمَ عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن اللهَ لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السُّنَّة الصحيحة فأنّى يأتي ذلك من اتى وقد قيل كانت شجرةَ البُرّ وقيل كانت شجرةَ العِنَب وقيل كانت شجرةَ التين وجائزٌ ان تكون واحدةً منها وذلك إنْ عَلِمَهُ عالِمٌ لم ينفع العالِمَ بهِ علمُه وإنْ جَهِلَهُ جاهلٌ لم يَضُرَّهُ جَهْلُه به . "
(" الجامع " ١، ١٨٤-١٨٥) .

اليهودَ إنَّ شجرةَ المحنة كانت الكرمَ ، وآخرون انها التينةُ ، وزعمت فئةٌ ثالثة بأنها الحنطةُ :

"R. Meir holds that the tree of which Adam ate was the vine (...) R. Nehemiah says it was the fig tree (...) R. Judah says it was wheat (...) " (١٩٧)

٢) في سقي حواءَ آدمَ الخمرَ .– ولقد رُوي عن سعيد بن المسيب أنّ " حواءَ سقَتْه (= آدم) الخمرَ حتى إذا سَكِرَ قادَتْه اليها فأكل (من الشجرة) " .(١٩٨) ولربما اتت هذه الروايةُ صدًى لتعليم التلمود الذي يذهب الى أنَّ مَعْصِيَةَ آدمَ كان سببُها الخمرَ .

"R. Ḥisola said in R. 'Uḳba's name, and others state, Mar 'Uḳba said in R. Zakkai's name : The Holy One, blessed be He, said unto Noah : 'Noah, shouldst thou not have taken a warning from Adam, whose transgression was caused by wine?' This agrees with the view that the (forbidden) tree from which Adam ate was a vine, for nothing else but wine brings woe to man." (١٩٩)

---

(١٩٧) TB, Ber. 248-249 .- راجع ايضا : Bek. 49; Sanh. 478

(١٩٨) " الجامع " ١، ١٨٨ .

(١٩٩) TB, Sanh. 478.

٣) في الاعمال التي قام بها آدم بعد هبوطه .- ومن أطـــرف الروايات لائحةُ الاعمال التي قام بها آدمُ بعد هبوطِهِ حتى أكل خبزَه الأول . ولقد نقل الثعلبي المغامرةَ بإسهاب .

" ويروى أنَّ آدمَ لما اخذ النارَ احترقت يدُهُ ، فخلّى عنها ، فقال لجبريل : ما لها تُحرقُ يدي ولا تحرق يدَك ؟ قال : لأنـــك عصيتَ اللهَ وإنّي لم أعْصِهِ ، ثم امره جبريلُ باتخاذ آلةِ الحَرْث ، فهو اولُ من عَمِل الحديدَ ثم اتاه بصُرَّةٍ من حنطة فيها ثلاثُ حباتٍ من الحنطة ، فقال يا آدم : لك حَبّتان ولحواءَ حبةٌ ، فلذلك صار للذكر مِثْلُ حظّ الأُنثيين ، وكان وزنُ الحبةِ مائةَ الفِ دِرْهمٍ وثمانين الفِ دِرْهمٍ ، فقال آدم : ما اصنع بذلك كلّه ؟ فقال : يا آدم خذها فإنها سببُ سدِّ جَوْعتك وبها أُخرجتَ من الجنة وبها تحيا في الدنيا وبها تلقى الفتنةَ انت واولادَك الى ان تقوم الساعةُ ، ثم امره ان يَشُدَّ الثورين ويَكْسِرَ من الخشب ويضعَه عليهما نفعل ذلك وجعل يحرث الارضَ عليهما ، فهو اول من حرث الارض ، وبكى الثوران على ما فاتهما من راحات الجنة ، فقطرت دموعُهما على الارض فنبت منها الجاورس ، وبالا فنبت منه الحمص ، وراثا فنبت منه العدس ، ثم كسَر جبريلُ تلك الحبوبَ حتى كثّرها ثم بذرها ، فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام : آكلُه ؟ قال : لا ، اَصبرْ حتى

يُدْرِكَ ، فلما سَنْبَلَ وأَفْرَكَ قال : آكلُه ؟ قال لا ،وعلَّمه الحَصـاد ، فلما حَصَد قال : آكله قال لا ، وعلَّمه الدياسَ ، فلما داس قـال : آكله ؟ قال : لا ، وعلَّمه التنقيةَ ، فلما نقاه قال : آكله ؟ قال : لا ، وجاءه بحجرَيْن وعلَّمه الطحن ، فلما طحنه قال : آكله ؟ قال : لا ، وعلَّمه العَجْن ، ويُقالُ إنَّ آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقَه امره جبريلُ ان يَبُثَ النُخالةَ في الارض المستحصدة ، فنبت فيها الشعيرُ . فلما عجَن قال آكله ؟ قال : لا ، فأمرهُ ان يحفُرَ حُفَيْرَةً ويضعَ الحطب فيها ويوقدَ عليها نارًا ، ففعل ذلك ، ثم وضع عجينَه عليه ، فخبز حتى جعله خُبْزَ مَلّةٍ ، فهو أول من خَبَزَ ، فلما اخرجه قال : آكلـــه ؟ قال : لا ،حتى يَبْرُدَ ، فلما بَرَدَ أكله ، فلما اكله دمَعَتْ عينـا آدمَ عليه السلام وقال : ما هذا التعب والنَّصْب ؟ قال له : هذا وعــد الله الذي وعدك ، فذلك قوله تعالى * إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِـكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكما مِن الجَنَّةِ فَتَشَقى * أما آنَ لك ان تأكلَ من كدِّ يمينِك وعرَقِ جَبينِك انت وذُرِّيَّتك ؟ فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ما هو ، فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام ، فقال : ذلك العطـشُ ، قال : فبم أُسَكِّنُه ؟ فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المِعْوَلُ وقال لــه : أَحْفُرِ الارض ، فما زال يَحْفُرُ حتى بلغ الى ركبتيه ، فنبَعَ الماءُ من تحت رجليه ماءً زُلالا أَبْرَدَ من الثلج واحلى من العسل ، وقال : يا آدمُ اشْرَبْ منه شُرْبَةً ،فشَرِبها فاطمأن ، ثم إنه بعد ذلك وجد تَشَكِّيًا اشدَّ من الاول والثاني ، فقال لجبريل : ما هذا الذي أَجِدُهُ ؟ قال : لا أدري ، فبعث اللهُ اليه ملكا ففتقَ قُبُلَهُ ودُبُرَهُ ، ولم يكن قبل ذلك

للطعام مخرجٌ ، فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحَه بكى على ذلـــك
ســبعين سنةً . " (" قصص الانبياء " ٣٨ـ٣٩)

ونلقى في التلمود البابلي ما قد يكون اصلُ فكرةِ هذه القصـــــة :

"Ben Zoma used to say : What labours Adam had to carry out before he obtained bread to eat ! He ploughed, he sowed, he reaped, he bound (the sheaves), he threshed and winnowed and selected the ears, he ground (them), and sifted (the flour), he kneaded and baked, and then at last he ate..." (٢٠٠)

٤) في ثورِ آدم .ـ " حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفـر عن سعيد قال أُهْبِطَ الى آدمَ ثورٌ أحمرُ فكان يحرث عليه ويمسحُ العرقَ مــــن جبينه ... " (٢٠١) وعند الثعلبي يُصْبِحُ الثورُ الاحمرُ ثورين أحمريـن . (٢٠٢)

---

(٢٠٠) TB, Ber. 359

(٢٠١) " الجامع " ١٦، ١٦١ .ـ راجع ايضا " الكشاف " ٣، ٩٢ .

(٢٠٢) " قصص الانبياء " ٣٨ .

ويذكر التلمودُ البابلي عن ثورٍ ضحّاه آدمُ وكان وحيدَ القرن :

"R. Judah said, The ox which Adam the first (man) sacrificed had one horn in its forehead..." (٢٠٣)

بعد بحثنا في خلق السموات والارض ، الملائكة ، فخلق الانســان ، نُنْهي الجزءَ الثالثَ المكرسَ للخلقِ حدثًا بفصل أخيرٍ حول قصةِ هابيل وقابيل .

د ٠- قصــة هابيل وقابيــل

~~واختتم بحثي كله برواية في أولاد آدم وحواء تصل بنا الى هابيــل وقابيل~~ ينقل الطبري : " كان لا يولدُ لآدم مولودٌ الا وُلِدَ معــه جاريــةٌ فكان يزوج غُلامَ هذا البطنِ جاريةَ هذا البطن الآخَــرِ ويزوج جاريةَ هذا البطن

---

(٢٠٣) TB, Shab. 124 راجع ايضا : Hul. 329 .

غلامُ هذا البطن الآخَر حتى وُلِدَ له ابنان يُقالُ لهما قابيلُ وهابيـلُ ...»(٢٠٤)
ونلقى في التلمود البابلي فكرةَ تَوْأَمَيْ حواءَ . ففي رِوايته خلق آدمَ وحواءَ ساعةً بعد ساعةٍ اطّلَعْنا في الساعة الثامنة على الحدث التالي :

"in the eighth (hour), they (= Adam and Eve) ascended to bed as two and descended as four." (٢٠٥)

ويشرح المترجِمُ هذا التعبيرَ الغريبَ بقوله :

"I.e. Cain and his twin sister were born. (...) Abel and his other twin sister were born after they (Adam and Eve) sinned. " (٢٠٦)

وفي مكان آخر نحظى بشرحٍ إضافي :

"It was taught : R. Nathan stated : Beth Shammai ruled : Two males and two females; and Beth Hillel

---

(٢٠٤) " الجامع " ٦، ١٢١ .

(٢٠٥) TB, Sanh. 242

(٢٠٦) المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها ، هامش (3) .

ruled : A male and a female. Said R. Huna : What is the reason which R. Nathan assigns for the opinion of Beth Shammai ? Because it is written, And again she bore his brother Abel (Gen. 4,2) (which implies :) Abel and his sister; Cain and his sister. And it is also written, For God hath appointed me another seed instead of Abel; for Cain slew him (Gen. 4, 25)." (٢٠٧)

TB, Yeb. 413 (٢٠٧)

خاتمـــــة

أختتم رسالتي حول قصّة الخلق في الاسرائيليات حسب ورودها في تفسير الطبري مع ما يقابلها في التوراة والتلمود بالاستنتاجين الأدبيين التاليين :

١- كما أنّ ما في القرآن الكريم مما هو شَبَهٌ لبعض ما في الكتاب المقدس من الموضوعات لا يوافق نَصَّ التوراة ، كذلك فما وُجِدَ من نصوص " الاسرائيليات " في كتب التفسير التي اطلعتُ عليها ليس منقولا نقلا مباشَرا عن الكتاب المقدس ولا عن التلمود . غير أَن بعضَ الروايات والتفاصيل في كتب التفسير هذه يمكن ربطُها ، ان لم يكن ارجاعُها ، الى فِكَرٍ او حتى نصوص في التوراة وفي التلمودين الأورشليمي وبخاصة البابلي .

٢- يتراءى لي ان ثمة توفيقا بعامة بين نص روايات القرآن و " الاسرائيليات " في كتب التفسير . فلعل لاسرائيليات كتب التفسير وما في القرآن الكريم مما يشابه الكتابَ المقدسَ والتلمودَ أصولا في سِلْسِلَةٍ واحدة او متشابِهَة من الروايات والأخبار الاسرائيلية ، غيرَ ما في نص الكتاب المقدّس ونص التلمود .